

كتاب التوحيد [1] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

توحيد الإلهية هو أفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بما يعبد سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله المتضمنة لنفي عبادة غير الله وإثبات العبادة له سبحانه، وهذان الركنان (النفي والإثبات) لا يتحقق التوحيد بدونهما، وقد جاءت النصوص مبينة فضل توحيد الألوهية وأهميته، ومنزلة محققه وفلاحهم ونجاتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة.

طرق شرح كتاب التوحيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وارزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنك على كل شيء قدير. أما بعد: فإن الدرس الذي سنبدأ فيه - بإذن الله تعالى - هو درس في (كتاب التوحيد) للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهذا الكتاب من الكتب المتميزة في شرح قضايا توحيد الألوهية شرحاً مفصلاً ودقيقاً إلى درجة كبيرة، وهذا الكتاب يمكن أن يشرح شرحاً طويلاً، ويستغرق سنوات طويلة، ويمكن أن يختصر شرحه في أسابيع بحسب طريقة الشرح، وطريقة العرض والمناقشة. والطول والقصر في الدروس راجعان إلى الطريقة التي يتم بها الدرس، فيمكن أن تكون هناك طريقة متوسعة، بحيث يشرح فيها كل ما يتعلق بالآية أو الحديث أو المسائل التي ذكرها الشيخ، ويفصل في ذلك كثيراً، ويمكن أن يختصر ذلك، فيكون الشرح بطريقة التقعيد والتأسيس، ولهذا شرح الكتاب بهاتين الطريقتين: فشرحه بالطريقة الأولى الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه المشهور: (تيسير العزيز الحميد)، لكنه لم يكمل هذا الشرح، حيث قتل شهيداً - رحمه الله تعالى - على يد إبراهيم بن محمد علي باشا المتعصرون الذي جاء إلى نجد في تلك الفترة، وأتم هذا الشرح وأكماله عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه المشهور (فتح المجيد). وفي هذه الطريقة الأولى - طريقة التوسع والتطويل - قد تذكر مسائل كثيرة لا صلة لها في موضوع التوحيد؛ لتضمن النص القرآني أو الحديث النبوي لها، أو المسألة التي أشار إليها الشيخ. وهناك الشرح المختصر الذي يمكن أن يقتصر فيه على مسائل توحيد الألوهية بشكل مباشر، وبشكل منظم، وكان من أفضل هذه الشروح شرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في كتاب (القول السديد في شرح كتاب التوحيد)، وهو كتاب مشهور ومطبوع، شرح فيه كتاب التوحيد شرحاً مختصراً جداً، حيث يأتي إلى الباب ويذكر فيه الكلام الأساسي الذي من أجله عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الباب. والطريقة التي سنتبعها في الشرح بإذن الله تعالى هي أننا سنأخذ الأبواب الموجودة في كتاب التوحيد - وهي ستة وستون باباً - ونجعلها على شكل محاور وموضوعات أساسية، وهذه الموضوعات الأساسية يمكن تطويلها، ويمكن ضم بعضها إلى بعض، وقد جعلناها ثمانية محاور، وكل محور يوجد فيه عشرة أبواب أو أقل. وهذه الطريقة في الدراسة يمكن أن نسميها الطريقة الموضوعية؛ لأنه ليس الهدف من دراسة الكتاب هو الوقوف على كل لفظة وشرحها، والحديث عنها بشكل مفصل، وإنما المقصود بيان الهدف الأساسي الذي أراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن يوصله إلى الناس من خلال كتابه هذا الذي هو (كتاب التوحيد). والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يؤلف هذا الكتاب في مجلس واحد، وإنما ألفه في فترات متعددة، حيث كان يستعرض القرآن والأحاديث النبوية، ويجمع كل ما يتعلق بتوحيد الألوهية من الآيات والأحاديث، وبعد سنوات اجتمعت لديه مجموعة كبيرة من الآيات، ومجموعة كبيرة من الأحاديث، فصنفها على شكل أبواب، مثل طريقة العلماء السابقين، كطريقة الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، فخرجت هذه الأبواب الموجودة، إلا أن كل كتاب يكون للمبوب له نظرة في تبويبه، وقد تكون هناك نظرة أخرى لغيره فيها، ولهذا اجتهدنا في هذه الطريقة التي هي محاولة تقسيم الكتاب على شكل محاور، ومناقشة هذه المحاور، ثم استعراض الكتاب، ثم استعراض هذه الأبواب، والتعليق عليها بشكل مختصر.

تقسيم التوحيد

المحور الأول الذي سنبدأ به - إن شاء الله تعالى - هو توحيد الألوهية، مفهومه، وأهميته، وفضله، وحماية الرسول صلى الله عليه

وسلم له، فالكلام هو فيما يتعلق بتوحيد الألوهية في ذاته من ناحية تعريف هذا التوحيد وتفسيره، ومن ناحية أهمية هذا التوحيد، ومن ناحية فضل هذا التوحيد، ومن ناحية حماية النبي صلى الله عليه وسلم له. وهذا المحور قد استغرق قرابة سبعة أبواب سنتحدث عنها إن شاء الله بالتفصيل، وهناك محاور تتعلق بالشرك وأنواعه سنأخذها بالتفصيل، وهناك محاور أخرى سنأخذها بشكل متتال إن شاء الله تعالى. إن توحيد الألوهية هو نوع من أنواع التوحيد، والتوحيد ينقسم بحسب الاعتبار الذي ينظر إليه المقسم، فإذا جاء إلى التوحيد باعتبار الموحّد قسمه إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب، أو التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادي الطلبي. وإذا جاء إلى التوحيد باعتبار جهة الموحّد وجدّه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإذا عرفنا الجهة التي ينظر من خلالها إلى التوحيد نفهم سبب التقسيم عند أهل العلم، واختلاف التقسيم عند أهل العلم؛ إذ إننا نجد بعض العلماء يقسمه إلى ثلاثة أقسام، وبعضهم يقسمه إلى قسمين، والحقيقة هي أن التقسيم عمل فني أكثر من كونه معنوياً، حيث ينظرون إلى المعاني ثم يقسمونها، ولهذا يقسمون الواجب في أصول الفقه إلى قسمين: واجب عيني، وواجب كفائي، ثم يقسمونه إلى واجب موسع، وواجب مضيق، وهكذا في عامة العلوم الأخرى. ونحن سنشرح هذه الأنواع الثلاثة بناءً على التقسيم المشهور، وهو التقسيم باعتبار الموحّد، وهو الله سبحانه وتعالى، فينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله عز وجل وإفراده سبحانه وتعالى بالخلق والرزق والتدبير. وأما توحيد الألوهية فهو إفراد الله بالعبادة والتأله. وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله عز وجل بالأسماء الحسنى والصفات العليا، التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا التقسيم لأنواع التوحيد الثلاثة مبني على الاستقراء، وذلك أن العلماء نظروا في النصوص الشرعية واستقروا بها فوجدوا أن التوحيد فيها ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة.

توحيد الأسماء والصفات

أما توحيد الأسماء والصفات فقد بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف:180]، وهذا أيضاً يفيد الحصر بنفس الطريقة التي أفادها الحصر في توحيد الربوبية، حيث قدم الجار والمجرور، وتقديم الجار والمجرور يراى به إفادة الحصر والاختصاص. ولكل واحد من الأنواع الثلاثة أمثلة كثيرة غير ما ذكرنا.

مفهوم توحيد الألوهية

أما توحيد الألوهية فهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، ومعنى العبادة يبينه ابن تيمية رحمه الله في رسالته (العبودية) بقوله: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. والعبادة مأخوذة من التعبد، يقال: طريق معبد: إذا ذلته الأقدام بالسير عليه، فالتعبد في اللغة مأخوذ من الذل والخضوع، وزاد الشرع فيه المحبة أيضاً، فأصبحت العبادة في الاصطلاح الشرعي يراد بها تمام الذل والخضوع مع كمال المحبة، فإذا حصل هذان فإن العمل يكون عبادة، فإذا صرفت لله عز وجل فهي توحيد، وإذا صرفت لغيره فهي شرك وتثديد.

مفهوم توحيد الألوهية عند القبوريين

أما القبوريون فإنهم يرون أن الألوهية مشتقة من الإله، و(إله) على وزن فعال بمعنى (فاعل) أي: (آله) بمعنى: خالق، فهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه توحيد الربوبية، فيجعلون توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بمعنى واحد لا يفرقون بينهما، ويقولون: التفريق بينهما خطأ كبير، وبناءً على هذا جعلوا الشرك منحصراً في الربوبية فقط، فمن نسب الخلق لغير الله عز وجل، أو نسب التدبير لغير الله عز وجل؛ فإنهم يعتبرونه مشركاً، أما لو صرف الخوف والمحبة وأنواع المراتب لغير الله عز وجل فإنهم لا يعتبرونه مشركاً، ومن هنا وقعت الخصومة الكبرى بين أهل السنة من جهة، وبين القبوريين من جهة أخرى، فأعمال عباد القبور عند القبور -مثل: الطواف حول القبر، والذبح لصاحب القبر، والنذر، والاستغاثة، ودعاء صاحب القبر ونحو ذلك -نرى أنها شرك أكبر؛ لأنها صرف للعبادة لغير الله عز وجل، أما هم فإنهم لا يرونها شركاً؛ لأنهم يقولون: إن هؤلاء لا ينسبون الخلق لغير الله، فقلنا لهم: وإذا كانوا لا ينسبون الخلق لغير الله فهل يعني هذا أنهم من الموحدين؟ فقالوا: نعم؛ لأن التوحيد هو إثبات أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. أما نحن فنقول: التوحيد ليس هو إثبات أن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت فقط، بل هو أيضاً إفراد الله بالعبادة، ولهذا كان المشركون يعرفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ولم ينفعهم ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106] فأثبت لهم شيئاً من الإيمان، لكنه لا ينفعهم، قال ابن

عباس في هذا الإيمان الذي لا ينفعهم: إذا سألت أحدهم: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ قال: الله، فهذا لا ينفعه؛ لأنه سبحانه قال: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106]. ومن هنا لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، وهم يعترفون بأن الله الخالق والرازق والمحيي والمميت، فلم يقولوا ذلك موافقة له؛ لأنهم عرفوا حقيقة دين الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: أَجْعَلُ الْآلِهَةَ [ص:5] يعني: المعبودات إلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ [ص:5]. وعندما نوقشوا في كونهم يعبدون الآلهة وهي أصنام قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر:3] فصرخوا بلفظ العبادة فقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ، فلم ينسبوا إليهم الخلق والرزق والإحياء والإماتة كما يظن القبوريون، وإنما عبدوهم من دون الله سبحانه وتعالى. فحقيقة توحيد الألوهية هي صرف العبادة لله، والموحدون يتفاوتون في توحيد الألوهية، فبعضهم عنده أصل التوحيد، ولكن عنده ذنوب ومعاص تقلل من توحيده، وبعضهم توحيده تام كامل؛ لإتيانه بأصول العبادات والواجبات والمستحبات، ولهذا سيأتي معنا أن التوحيد ينقسم إلى قسمين: توحيد تام يكون لصاحبه الأمن والاهتداء التام، وتوحيد ناقص يكون لصاحبه أصل الأمن والاهتداء، ولكن ليس له الأمن التام، فقد يخاف، ولكن مرده إلى الأمن بإذن الله تعالى.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَزْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا [الإسراء:57]]. عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن ترك الشرك ركن أساسي في توحيد الألوهية؛ لأن الآية تخبر عن المشركين الذين يعبدون الصالحين، حيث قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يعني: يدعونهم. فالمقصود بقوله: أُولَئِكَ الإشارة إلى من يدعوهم المشركون، يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ يعني: من الأنبياء والصالحين المعبودين من دون الله سبحانه وتعالى. فترك الشرك والبراءة منه داخل في أساس الدين وفي أصل الدين، فلو أن إنساناً قال: أنا أعبد الله، لكن لا أتبرأ من الشرك، ولا أقر بأن المشرك يكون من أهل جهنم، فإنه لا يعتبر موحدًا. ولهذا فإن الدعاوى الموجودة في هذا العصر التي يرددها بعض الناس، حيث يقولون: إن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا، وإنما نحن وإياهم نلتقي في الملة الإبراهيمية، وإنما جميعاً من أهل الجنة، وإن الإسلام طريق إلى الله، واليهودية طريق إلى الله، والنصرانية طريق إلى الله، هذه الدعاوى كفر أكبر، وقائلها لم يحقق أصل الدين. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقول الله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الزخرف:26-28]]. قال المفسرون في قوله تعالى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً قالوا: الكلمة هي (لا إله إلا الله)؛ لأن هذه الآية مطابقة لمعنى (لا إله إلا الله)، فقوله: إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ يطابق (لا إله)، وقوله: إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي [الزخرف:27] يطابق: (إلا الله). قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِزُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [التوبة:31]]. هذه الآية أيضاً مطابقة لمعنى لا إله إلا الله، فقوله: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يعني: أشركوا مع الله عز وجل الأحبار - وهم علماء اليهود - والرهبان - وهم عباد النصارى - حيث اتخذوهم أرباباً؛ لأنهم يحلون لهم الحرام فيتبعونهم، ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فتلك عبادتهم)، وهذا هو معنى قول الله عز وجل: إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف:40]. ولم يكتف المؤلف رحمه الله بالآية الأولى في الدلالة على مطابقة كلمة التوحيد لدعوة إبراهيم عليه السلام لأن الذي جاء في الآية الأولى آية الزخرف، -وهو قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ [الزخرف:26] هو صنف من أصناف العبادة، وهذا صنف آخر، وهو الحكم والتشريع. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ [البقرة:165]]. هذه الآية فيها بيان للمحبة ووقوع الشرك فيها، وسيعقد الشيخ لها باباً مستقلاً بإذن الله تعالى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل)]. قوله: (من قال: لا إله إلا الله) هذا هو الجانب الإيجابي، وهو فعل العمل الصالح، يعني أن قول (لا إله إلا الله) والصلاة والصيام والمحبة والخوف كل ذلك ينبغي أن يُصرف لله سبحانه وتعالى، وهذا موافق لقوله: (إلا الله). وأما الجانب السلبي الآخر فهو قوله: (وكفر بما يعبد من دون الله)، فقد جعل الكفر بما يعبد من دون الله داخلياً في أصل الدين، حتى إنه لا يقبل إسلام الشخص إذا لم يكفر بما يعبد من دون الله؛ لأنه قال: (حرم ماله ودمه وحسابه على الله). فهذا الباب المقصود به بيان حقيقة توحيد الألوهية، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، وأنها مركبة

من ركنين أساسيين: الركن الأول: النفي، ومعناه: نفي الأرباب ونفي الأنداد ونفي الطواغيت ونفي الآلهة. الركن الثاني: إثبات العبادة لله وحده سبحانه وتعالى.

مفهوم توحيد الألوهية عند القبوريين

أما القبوريون فإنهم يرون أن الألوهية مشتقة من الإله، و(إله) على وزن فعال بمعنى (فاعل) أي: (آله) بمعنى: خالق، فهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه توحيد الربوبية، فيجعلون توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بمعنى واحد لا يفرقون بينهما، ويقولون: التفريق بينهما خطأ كبير، وبناءً على هذا جعلوا الشرك منحصراً في الربوبية فقط، فمن نسب الخلق لغير الله عز وجل، أو نسب التدبير لغير الله عز وجل؛ فإنهم يعتبرونه مشركاً، أما لو صرف الخوف والمحبة وأنواع المراتب لغير الله عز وجل فإنهم لا يعتبرونه مشركاً، ومن هنا وقعت الخصومة الكبرى بين أهل السنة من جهة، وبين القبوريين من جهة أخرى، فأعمال عباد القبور عند القبور -مثل: الطواف حول القبر، والذبح لصاحب القبر، والنذر، والاستغاثة، ودعاء صاحب القبر ونحو ذلك -نرى أنها شرك أكبر؛ لأنها صرف للعبادة لغير الله عز وجل، أما هم فإنهم لا يرونها شركاً؛ لأنهم يقولون: إن هؤلاء لا ينسبون الخلق لغير الله، فقلنا لهم: وإذا كانوا لا ينسبون الخلق لغير الله فهل يعني هذا أنهم من الموحدين؟ فقالوا: نعم؛ لأن التوحيد هو إثبات أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. أما نحن فنقول: التوحيد ليس هو إثبات أن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت فقط، بل هو أيضاً إفراد الله بالعبادة، ولهذا كان المشركون يعرفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ولم ينفعهم ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: 106] فأثبت لهم شيئاً من الإيمان، لكنه لا ينفعهم، قال ابن عباس في هذا الإيمان الذي لا ينفعهم: إذا سألت أحدهم: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ قال: الله، فهذا لا ينفعه؛ لأنه سبحانه قال: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: 106]. ومن هنا لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، وهم يعترفون بأن الله الخالق والرازق والمحيي والمميت، فلم يقولوا ذلك موافقة له؛ لأنهم عرفوا حقيقة دين الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: أَجْعَلُ الْآلِهَةَ [ص: 5] يعني: المعبودات إلهاً واحداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ [ص: 5]. وعندما نوقشوا في كونهم يعبدون الآلهة وهي أصنام قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر: 3] فصرخوا بلفظ العبادة فقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ، فلم ينسبوا إليهم الخلق والرزق والإحياء والإماتة كما يظن القبوريون، وإنما عبدوهم من دون الله سبحانه وتعالى. فحقيقة توحيد الألوهية هي صرف العبادة لله، والموحدون يتفاوتون في توحيد الألوهية، فبعضهم عنده أصل التوحيد، ولكن عنده ذنوب ومعاصي تقلل من توحيده، وبعضهم توحيده تام كامل؛ لإتيانه بأصول العبادات والواجبات والمستحبات، ولهذا سيأتي معنا أن التوحيد ينقسم إلى قسمين: توحيد تام يكون لصاحبه الأمن والاهتداء التام، وتوحيد ناقص يكون لصاحبه أصل الأمن والاهتداء، ولكن ليس له الأمن التام، فقد يخاف، ولكن مرده إلى الأمن بإذن الله تعالى.

أهمية توحيد الألوهية

لهذا المحور الذي سنتحدث عنه أهمية كبيرة جداً؛ لأن الإنسان إذا عرف توحيد الألوهية علم أنه هو حقيقة الإسلام، ثم إذا أراد أن يتحدث عن أهمية الإسلام فإنه يجد شيئاً كثيراً، ولكننا سنحصر أنفسنا فيما ذكره الشيخ. فقد ذكر الشيخ مجموعة من الأمور التي تدل على أهمية التوحيد: الأمر الأول: الحكمة أن من خلق الجن والإنس هي تحقيق توحيد الألوهية، فالله عز وجل ما خلق الناس في هذه الدنيا إلا ليوحدوه ويفردوه بالعبادة سبحانه وتعالى، والعبادة لا تصح إلا بهذا التوحيد، وهذا مذكور في قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: 56]. الأمر الثاني: أن توحيد الألوهية هو حقيقة دعوة الرسل، فالرسل عليهم السلام حين جاءوا لدعوة أقوامهم جاءوهم بالدعوة إلى توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الألوهية هو أصل الإسلام، فإذا آمن به الشخص؛ فلا بد من أن يؤمن بتوحيد الربوبية معه، ولا بد من أن يؤمن بتوحيد الأسماء والصفات معه أيضاً. يقول الله عز وجل: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل: 36]، فقله تعالى: أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ موافق للإثبات في (إلا الله)، وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ موافق للنفي في (لا إله)، ويمكن أن نستعرض القرآن ونستخرج منه كثيراً من الأمثلة بهذه الطريقة. الأمر الثالث: أن توحيد الألوهية هو أول أمر أمر الله سبحانه وتعالى به، يقول الله عز وجل: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [الإسراء: 23]، فقله: (وقضى) معناه: أمر ووصى، فأول أمر من الأوامر الشرعية أمر الله عز وجل به هو توحيد الألوهية، وهذا يدل على أهميته وفضله. يقول الله عز وجل: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: 36] في سياق جملة من الحقوق، فجعل توحيد الإلهية أول حق من الحقوق. الأمر الرابع: أن الشرك هو أعظم محرم، فإذا كان التوحيد هو أعظم

أمر الله سبحانه وتعالى به، فالشرك الذي هو عكسه هو أعظم محرم في نفس الوقت، يقول الله عز وجل: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [الأنعام:151]، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [الأنعام:151] إلى قوله: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ [الأنعام:153]. وهذه الآيات تسمى آيات الوصايا العشر، وقد بدأها الله سبحانه وتعالى بالتحذير من الشرك الذي هو رأس المحرمات. الأمر الخامس: أن التوحيد حق لله سبحانه وتعالى، وهذا وارد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما قال: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معاذ ! أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وهذا هو توحيد الألوهية، فقوله: (أن يعبدوه) بمعنى: (إلا الله)، (ولا يشركوا به شيئاً) بمعنى: (لا إله)، فهو نفس معنى (لا إله إلا الله). ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشروهم فيتكلوا). إذاً: يمكن أن نبرز أهمية توحيد الألوهية باعتبار أنه لا يمكن أن يثبت للإنسان اسم الإسلام ووصفه وحقوق الإسلام إلا إذا جاء بتوحيد الألوهية، وأما إذا لم يأت بتوحيد الألوهية فإنه لا يثبت له شيء من أوصاف الإسلام؛ لما جاء في الحديث: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله) يعني أن من لم يحقق ذلك قدمه حلال وماله حلال؛ لأنه ليس من المسلمين، وهذا يدل على أهمية توحيد الألوهية.

مفهوم توحيد الألوهية عند القبوريين

أما القبوريون فإنهم يرون أن الألوهية مشتقة من الإله، و(إله) على وزن فعال بمعنى (فاعل) أي: (آله) بمعنى: خالق، فهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه توحيد الربوبية، فيجعلون توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بمعنى واحد لا يفرقون بينهما، ويقولون: التفريق بينهما خطأ كبير، وبناءً على هذا جعلوا الشرك منحصراً في الربوبية فقط، فمن نسب الخلق لغير الله عز وجل، أو نسب التدبير لغير الله عز وجل؛ فإنهم يعتبرونه مشركاً، أما لو صرف الخوف والمحبة وأنواع المراتب لغير الله عز وجل فإنهم لا يعتبرونه مشركاً، ومن هنا وقعت الخصومة الكبرى بين أهل السنة من جهة، وبين القبوريين من جهة أخرى، فأعمال عباد القبور عند القبور -مثل: الطواف حول القبر، والذبح لصاحب القبر، والنذر، والاستغاثة، ودعاء صاحب القبر ونحو ذلك -نرى أنها شرك أكبر؛ لأنها صرف للعبادة لغير الله عز وجل، أما هم فإنهم لا يرونها شركاً؛ لأنهم يقولون: إن هؤلاء لا ينسبون الخلق لغير الله، فقلنا لهم: وإذا كانوا لا ينسبون الخلق لغير الله فهل يعني هذا أنهم من الموحدين؟ فقالوا: نعم؛ لأن التوحيد هو إثبات أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. أما نحن فنقول: التوحيد ليس هو إثبات أن الله هو الخالق والرازق والمحيي والمميت فقط، بل هو أيضاً إفراد الله بالعبادة، ولهذا كان المشركون يعرفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ولم ينفعهم ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106] فأثبت لهم شيئاً من الإيمان، لكنه لا ينفعهم، قال ابن عباس في هذا الإيمان الذي لا ينفعهم: إذا سألت أحدهم: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ قال: الله، فهذا لا ينفعه؛ لأنه سبحانه قال: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106]. ومن هنا لما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، وهم يعترفون بأن الله الخالق والرازق والمحيي والمميت، فلم يقولوا ذلك موافقة له؛ لأنهم عرفوا حقيقة دين الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ [ص:5] يعني: المعبودات إلهاً واحداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ [ص:5]. وعندما نوقشوا في كونهم يعبدون الآلهة وهي أصنام قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر:3] فصرحوا بلفظ العبادة فقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ، فلم ينسبوا إليهم الخلق والرزق والإحياء والإماتة كما يظن القبوريون، وإنما عبدوهم من دون الله سبحانه وتعالى. فحقيقة توحيد الألوهية هي صرف العبادة لله، والموحدون يتفاوتون في توحيد الألوهية، فبعضهم عنده أصل التوحيد، ولكن عنده ذنوب ومعاص تقلل من توحيده، وبعضهم توحيده تام كامل؛ لإتيانه بأصول العبادات والواجبات والمستحبات، ولهذا سيأتي معنا أن التوحيد ينقسم إلى قسمين: توحيد تام يكون لصاحبه الأمن والاهتداء التام، وتوحيد ناقص يكون لصاحبه أصل الأمن والاهتداء، ولكن ليس له الأمن التام، فقد يخاف، ولكن مردّه إلى الأمن بإذن الله تعالى.

فضل توحيد الألوهية

قسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الحديث عن فضل توحيد الإلهية إلى قسمين: الأول: الحديث عن فضله بشكل عام، فقد بوب له باباً وقال: [باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب]. الثاني: فضل من حققه، يعني: من جاء بحقيقته، وبوب له باباً

خاصاً سماه (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب).إذاً: فباب فضل التوحيد، وباب من حقق التوحيد يجتمعان في نقطة واحدة، وهي فضل التوحيد عموماً، فالأول: فضل عام، والثاني: فضل خاص لفئة معينة، وهي التي جاءت بتحقيق التوحيد.

فضل من حقق التوحيد

النوع الثاني من أنواع الفضائل التي أشار إليها هو فضل من حقق التوحيد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ومعنى (حقق التوحيد): خلصه وصفاه من الشرك والبدع والمعاصي؛ إذ الشرك والبدع والمعاصي تنقص وتضعف التوحيد، فمن صفى توحيده من الشرك الأكبر والأصغر، والبدع القولية والعملية، والمكفرة وغير المكفرة، والكبائر والصغائر من المعاصي؛ فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم ذكر دليلاً على ذلك، وهو خبر إبراهيم عليه السلام، يقول الله عز وجل: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل:120-121].فهذه مجموعة من الأعمال قام بها إبراهيم، منها: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً [النحل:120] يعني: إماماً، والإمام لا يكون إماماً إلا إذا حقق تمام الصبر وتمام اليقين؛ لأن الله عز وجل يقول: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة:24].ومنها: أنه حنيف، والحنيف هو المنحرف عن الشرك.ومنها: أنه لم يك من المشركين، وهذه كلها تدل على تمام التوحيد عنده.ومنها: أنه كان قانتاً لله، والقنوت هو دوام الطاعة والاستمرار عليها.ومنها: قوله تعالى: شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل:121] فهذه خمسة أعمال قام بها إبراهيم، فكانت النتيجة خمس فضائل:الأولى: أنه اجتباه، أي: اصطفاه.الثانية: قوله تعالى: وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل:121].الثالثة: قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً [النحل:122]، والمقصود بالحسنة التي آتاه الله عز وجل إياها في الدنيا: الذكر الحسن.الرابعة: قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [النحل:122] يعني: من أهل الجنة.الخامسة: قوله تعالى: ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ آتِ بِمَلَّةٍ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [النحل:123] يعني أنه متبوع لتمام إمامته.وأما الآية الثانية التي جاء بها في المحققين للتوحيد فهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [المؤمنون:59] وهذه الآية قبلها وبعدها آيات في هذا الموضوع، وهي قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون:57-61]. فهذه هي أعلى درجات توحيد الألوهية.ثم ساق حديثاً طويلاً في قصة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأن السبب في تفضيلهم ودخولهم الجنة بغير حساب ولا عذاب هو تمام التوحيد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر أوصافهم قال: (هم الذين لا يسترقون) يعني: لا يطلبون الرقية، والرقية سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، (ولا يكتوون، ولا يتطيرون) يعني: لا يتشاءمون بالطيور أو غيرها، (وعلى ربهم يتوكلون)، وهذا يدل على أنهم من أهل التوحيد التام الكامل ولهذا كانوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجنا ب التوحيد

إن النبي صلى الله عليه وسلم لتعظيمه لتوحيد الألوهية، ولمكانة توحيد الألوهية -إذ هو أساس الدين وأصله- فقد حمى ما حوله، ولهذا حذر من أفعال قد توقع فيما ينقص أو يُنقص كمال توحيد الألوهية، وحذر من أقوال قد توقع أيضاً فيما ينقص التوحيد، ولهذا بوب الشيخ في حماية المصطفى لجنا ب التوحيد بابين:الباب الأول: في بداية الكتاب، وهو الباب الكائن برقم (21).وبالبا ب الثاني: في آخر الكتاب، وهو الباب الكائن برقم (65).وبعض الناس قد يقول لماذا بوب الشيخ بابين؟ ألا يكفي باب واحد؟ والجواب هو أن الباب الأول في حماية المصطفى لجنا ب التوحيد من الأعمال التي قد تخذش فيه.وبالبا ب الثاني في الأقوال، وهناك فرق بين الأعمال والأقوال.فأما الباب الأول فهو (باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم لجنا ب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وهذا الباب أيضاً يدخل في أهمية التوحيد ومكانته ومنزلته، ولذا نلحظ أن هذه المجموعة من الأبواب متفرقة في أماكن متعددة، ومع ذلك يصلح أن ينظمها سلك واحد، وهو مفهوم توحيد الألوهية وما يتعلق به من الفضائل والحماية.قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جنا ب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقول الله تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة:128]].هذه الآية تدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، فقلوه تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ) يعني: يصعب عليه (مَا عَنِتُّمْ) أي: مشاقتكم وعنتكم، ف(ما) هنا مصدرية، فتكون هي والفعل الذي بعدها مؤولان بالمصدر، بمعنى: عزيز

عليه عنتكم. والعنت: هو المشقة، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على الناس في أمورهم المعيشية؛ فإن حرصه عليهم في تاج الإسلام -وهو التوحيد- أشد وأعظم، وستأتي نماذج من ذلك. قال المؤلف رحمه الله: [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قברי عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات. وعن علي بن الحسين: (أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال: لا تتخذوا قברי عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي؛ فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم) رواه في المختارة]. هذا الحديث يدل على حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناز التوحيد، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً). وهذا القول يحتمل معنيين: الأول: لا تدفنوا الموتى فيها. والمعنى الثاني: لا تجعلوها مثل المقبرة التي لا يصلح فيها، وكلا المعنيين يدلان على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تطهير جناب التوحيد من أي خدش فيه، فأما على المعنى الأول -وهو: النهي عن دفن الموتى في البيوت- فإن دفن الموتى في البيوت نوع من أنواع الغلو، وهو يفضي إلى التعظيم، ولهذا نلاحظ في تاريخ المسلمين أن أكثر من أن يصنع هذا هم السلاطين والوجهاء، وأصحاب الأماكن العالية، فقد يبني أحدهم قصراً ويجعله مقبرة لنفسه، وهذا يضيف شيئاً من التعظيم على القبر الذي يدفن فيه. وقد يقول قائل: لماذا دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مع أنه نهى عن ذلك؟! فنقول: هذا من خصائصه، والدليل على كونه من خصائصه هو حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما اختلفوا في مكان دفنه، فأخبرهم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من نبي يقبض إلا يدفن حيث قبض) يعني: يكون محل دفنه هو المكان الذي يقبض فيه ويموت فيه. وقوله: (ولا تجعلوا قברי عيداً) العيد: هو الشيء المعتاد، فهو يتضمن معنى التكرار والإعادة، ولهذا سمي بذلك عيد الأضحى وعيد الفطر لأنهما يعودان كل سنة. فقوله: (لا تجعلوا قברי عيداً) أي: لا تجعلوا زيارة قברי مثل العيد تعاودونه في كل سنة، أو في كل شهر، أو في كل فرض، أو في كل يوم، أو نحو ذلك، فمن اتخذ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم عيداً منتظماً؛ فإنه يدخل في عموم نهيه، وهذا نص صريح على بدعة الزيارة الرجبية التي اعتادها كثير من الناس، والزيارة الرجبية هي أنهم يزورون قبر النبي صلى الله عليه وسلم في كل رجب، فهذه بدعة؛ لأنهم جعلوا زيارته في رجب عيداً يعтаودونه، وهي بدعة ومنكر. وهناك كثير من الناس يعترض علينا عندما نذكر أنواعاً من الزيارات البدعية أو التصرفات البدعية في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم بأننا لا نحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا باطل وفاسد، فإن أهل التوحيد هم من أشد الناس محبة وتعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا ينقادون للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أمر من الأمور، وهم في كل تصرف من التصرفات هم أتباع لسنته، وهذا من تعظيمه وإجلاله وإعطائه مكانته الصحيحة. فقوله: (ولا تجعلوا قברי عيداً) لإفضاء ذلك إلى الغلو، والغلو يفضي إلى الشرك. وقوله: (وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) يدل على سبب النهي عن اتخاذ القبر عيداً؛ إذ لو كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا تتحقق إلا بالوقوف عند القبر لكان ذلك مدعاة إلى اتخاذ عيداً، فبين أن الصلاة عليه تبلغه من الإنسان في أي مكان كان من الأرض. وإذا كان هذا النهي في الزيارة فكيف بالموبات التي يعملها كثير من الناس عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم؟! فمنهم من يأتي ويقف عند القبر ويرفع يديه ويبكي ويستغيث ويستجير ويطلب المغفرة ونحو ذلك، وهذه الأفعال من الموبات العظيمة والكفر الأكبر الذي ينقض أصول الدين وأصول الإسلام. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن اتخاذ قبره عيداً -وهو أن يأتي الإنسان لزيارة القبر ثم يعاوده مرة أخرى ثم يعاوده مرة أخرى- فكيف باتخاذ القبر قبلة؟! إذ إن بعض الناس يأتي فيذهب ليجعل القبلة خلف ظهره ويصلي إلى جهة القبر -والعياذ بالله- إلا أنه يجد من ينهاه، وهذا من نقص توحيد الألوهية. وانظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما الذي يغلو فيه الشيعة القبوريون كيف صنع مع هذا الرجل الذي كان يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها ويدعو الله عز وجل، حيث نهاه. فإذا كان قد نهاه في مثل هذه الحالة فكيف بالذين يأتون ويطلبون المدد ويستغيثون ويبكون، ويلجئون إلى أصحاب القبور، والعياذ بالله؟! الباب الثاني الذي يتعلق بحماية النبي صلى الله عليه وسلم لتوحيد الألوهية هو باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وسده طرق الشرك الأخرى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك]. عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو

بعض قولكم، ولا يستجربكم الشيطان) رواه أبو داود بسند جيد. وعن أنس (أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) رواه النسائي بسند جيد. هذا فيما يتعلق بحماية توحيد الألوهية، وسد الطرق والأقوال التي قد تكون سبباً في الخدش في التوحيد. ففي الحديث الأول قالوا له: (أنت سيدنا)، وقالوا له: (أفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً)، وهذه أقوال صحيحة، ليس فيها خطأ في المعنى، ولا تجاوز في العبارة، ولهذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا بقولكم) يعني: قولوا بقولكم هذا، ولكن نهاهم عن الوقوع في الزلل فقال: (ولا يستجربكم الشيطان) فالنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على حمى التوحيد، ولهذا حذر أصحابه من استعمال بعض العبارات التي هي في ذاتها صحيحة، إلا أنه قد يأتي أشخاص فيفهمونها على غير وجهها، أو يبالغون ويزيدون فيها، وربما سكت عنهم فجاءوا بعبارة أخرى غير مشروعة، فحذرهم عليه الصلاة والسلام. ولا شك في أنه سيدنا ويصح للإنسان أن يقول: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر). ولهذا لما أراد أن ينهاهم قال: (إنما السيد الله) يعني: صاحب السيادة المطلقة هو الله سبحانه وتعالى، وهم لم يجعلوه صاحب سيادة مطلقة، وإنما أضافوه إلى أنفسهم فقالوا: (سيدنا)، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً غاية الحرص على حمى التوحيد، وهذا باب كبير من أبواب أصول الدين، وهو سد الذرائع، سواء في مسائل الاعتقاد، أو في مسائل الفقه، فسد الطرق المفضية والموصلة إلى المحرم أصل من أصول الدين، فكل طريق يوصل إلى محرم يجب أن يسد وأن يمنع. وبعض العصرانيين اليوم يقولون: لماذا تمنعون الناس من كثير من الأمور المباحة في ذاتها، فإذا قلنا لهم: هذا سد للذريعة، قالوا: ليس هناك شيء اسمه سد للذريعة، ليس هناك إلا محرم وجائز، فما دام أنه جائز فاتركوا الناس، وهذا لاشك في أنه فهم فاسد، فإن أشياء كثيرة مباحة، إلا أنها إذا كانت مفضية إلى محرم تكون ممنوعة. ومثال ذلك مسألة قيادة المرأة للسيارة، يقول بعض هؤلاء: لو جلست المرأة مكان السائق الرجل وأمست بـ(الدركسون) بتلك الطريقة وسافت فهل عليها إثم عند الله؟! وهل يعاقبها الله عز وجل لأنها أمست بـ(الدركسون) وسافت السيارة؟! فقلنا: لا، فهذا ليس فيه إثم. فقالوا: إذا لماذا لا تتركون النساء يسقن السيارات؟! فقلنا: هناك فرق بين أن تجلس وتسوق السيارة في مكان ليس فيه أحد، وبين أن تفتح لهن الباب وتجعله قراراً عاماً بحيث تقود النساء السيارات في كل مكان؛ فهذا يترتب عليه مفسد عظيمة جداً. فقالوا: إما أن تقولوا: هو حلال وإما أن تقولوا: هو حرام، فقلنا: الجلوس نفسه حلال، فقالوا: إذاً، قيادة المرأة للسيارة حلال. فقلنا: إذا لم يكن هناك أحد فقيادتها حلال، لكن أن يكون قراراً عاماً، بحيث تقود المرأة السيارة في الشوارع العامة وفي كل مكان، يقتضي أن تكشف وجهها، ويقتضي أن تتبرج، وهي وسيلة يريدون أن يصلوا من خلالها إلى الفساد الذي يوجد في المجتمعات الأخرى من تبرج النساء، فسد الذرائع قاعدة عظيمة من القواعد الشرعية، حتى لو كان بعض الناس يتفهم ويتذكى باستخدام أساليب من هذا النوع، فينبغي أن يكون عندنا من الوعي والمعرفة في الأحكام ما يجعلنا نرد على مثل هؤلاء. والكلمات الأخرى -وهي: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا- ليس فيها شيء في ذاتها، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لحرصه على حماية التوحيد نهاهم عن استهواء الشيطان لهم، فقال: (ولا يستهوينكم الشيطان) يعني: لا يجعلكم تهوونه وتطيعونه.

فضل من حقق التوحيد

النوع الثاني من أنواع الفضائل التي أشار إليها هو فضل من حقق التوحيد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ومعنى (حقق التوحيد): خلصه وصفاه من الشرك والبدع والمعاصي؛ إذ الشرك والبدع والمعاصي تنقص وتضعف التوحيد، فمن صفى توحيده من الشرك الأكبر والأصغر، والبدع القولية والعملية، والمكفرة وغير المكفرة، والكبائر والصغائر من المعاصي؛ فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم ذكر دليلاً على ذلك، وهو خبر إبراهيم عليه السلام، يقول الله عز وجل: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل: 120-121]. فهذه مجموعة من الأعمال قام بها إبراهيم، منها: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً [النحل: 120] يعني: إماماً، والإمام لا يكون إماماً إلا إذا حقق تمام الصبر وتمام اليقين؛ لأن الله عز وجل يقول: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: 24]. ومنها: أنه حنيف، والحنيف هو المنحرف عن الشرك، ومنها: أنه لم يك من المشركين، وهذه كلها تدل على تمام التوحيد عنده. ومنها: أنه كان قانتاً لله، والقنوت هو دوام الطاعة والاستمرار عليها. ومنها: قوله تعالى: شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل: 121] فهذه خمسة أعمال قام بها إبراهيم، فكانت النتيجة

خمس فضائل: الأولى: أنه اجتنابه، أي: اصطفاه. الثانية: قوله تعالى: وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل: 121]. الثالثة: قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ فِي الذُّنُوبِ حَسَنَةً [النحل: 122]، والمقصود بالحسنة التي آتاه الله عز وجل إياها في الدنيا: الذكر الحسن. الرابعة: قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [النحل: 122] يعني: من أهل الجنة. الخامسة: قوله تعالى: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [النحل: 123] يعني أنه متبوع لتمام إمامته. وأما الآية الثانية التي جاء بها في المحققين للتوحيد فهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [المؤمنون: 59] وهذه الآية قبلها وبعدها آيات في هذا الموضوع، وهي قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون: 57-61]. فهذه هي أعلى درجات توحيد الألوهية. ثم ساق حديثاً طويلاً في قصة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأن السبب في تفضيلهم ودخولهم الجنة بغير حساب ولا عذاب هو تمام التوحيد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر أوصافهم قال: (هم الذين لا يسترقون) يعني: لا يطلبون الرقية، والرقية سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، (ولا يكتونون، ولا يتطيرون) يعني: لا يتشاءمون بالطيور أو غيرها، (وعلى ربهم يتوكلون)، وهذا يدل على أنهم من أهل التوحيد التام الكامل ولهذا كانوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

طرق دراسة التوحيد والإيمان

إن طريقة دراسة العلماء لتوحيد الألوهية هي مثل طريقة دراسة كتاب الإيمان، وذلك أنهم يدرسون الإيمان والتوحيد بطريقتين: الطريقة الأولى: طريقة التأصيل أو التصحيح. الطريقة الثانية: طريقة التعميق. ومعنى طريقة التصحيح: أن يصحح مفهوم التوحيد، ويصحح ما حوله من المفاهيم؛ حتى لا يقع فيها غبش ولا يقع فيها إشكال، ويحفظ للأمة دينها إلى قيام الساعة، فيعرف الإنسان ما هو توحيد مما هو شرك، ويميز الإنسان الإيمان عن الكفر، فهذه الطريقة تسمى طريقة التصحيح، وذلك لأن المفاهيم الشرعية -كالإيمان، وتوحيد الألوهية وغيرهما- دخل فيها غبش كثير بسبب الفرق الضالة، فاحتاج أهل السنة إلى أن يصححوا المفاهيم الشرعية للرد على الفرق الضالة، ولبيان المعتقد الصحيح من واقع الكتاب والسنة. وهذه الطريقة الأولى هي الطريقة التي نسير عليها في شرحنا هنا. وأما طريقة التعميق فهي: تربية القلب والتطبيق الفعلي لتوحيد الألوهية والإيمان، وذلك التطبيق منازل عظيمة، ولذلك ألف ابن القيم رحمه الله (مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين) يعني: في منازل العبودية، ومنازل العبودية هي نفسها منازل توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو نفسه توحيد العبودية، فأدخل فيها التوكل على الله، والمحبة، والرجاء، والصدق مع الله، والإخلاص، والتوكل والإنابة ونحو ذلك من المنازل العظيمة من منازل الإيمان التي تشرح الصدر وتنير العقل، وتنير للإنسان طريقه، وتجعله في أعلى درجات الإيمان. وهذه الطريقة الثانية هي التي تربي عليها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهور الفرق الضالة التي غيرت المفاهيم الشرعية، مثل: مفهوم توحيد الألوهية، أو مفهوم توحيد الأسماء والصفات، أو مفهوم الإيمان، فالصحابه رضوان الله عليهم ما كانوا يدرسون الإيمان بأنه قول وعمل يزيد وينقص، وغير ذلك من التعريفات التي نقرؤها في متون العقيدة، وإنما كانوا يطبقون ذلك عملياً في حياتهم. ودليل ذلك أن لقيط بن صبرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يضحك من قنوط عباده وقرب غيرهم) فلم يكتف لقيط بن صبرة إثبات صفة الضحك فقط، بل قال: (يا رسول الله! أو يضحك الرب؟! قال: نعم. قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً) يعني أن الرب الذي يضحك لن نعدم منه الخير، فاستفاد منه عبادة قلبية، وهي الرجاء، والرجاء سيدفعه إلى المحبة، وهكذا منازل الإيمان يقرب بعضها من بعض. فانظر كيف استفاد من توحيد الأسماء والصفات في رفعة الإيمان القلب، ولهذا كان لابد من التنبيه لهذه القضية، وبيان أن الدراسة تكون بطريقتين: طريقة التصحيح، وطريقة التعميق، ونحن بحاجة إلى دراسة التوحيد والإيمان بهاتين الطريقتين، ولا يصح الاكتفاء بواحدة دون الأخرى.

فضل من حقق التوحيد

النوع الثاني من أنواع الفضائل التي أشار إليها هو فضل من حقق التوحيد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ومعنى (حقق التوحيد): خلصه وصفاه من الشرك والبدع والمعاصي؛ إذ الشرك والبدع والمعاصي تنقص وتضعف التوحيد، فمن صفى توحيده من الشرك الأكبر والأصغر، والبدع القولية والعملية، والمكفرة وغير المكفرة، والكبائر والصغائر من المعاصي؛ فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم ذكر دليلاً على ذلك، وهو خبر إبراهيم عليه السلام، يقول الله عز وجل: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ

أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل:120-121]. فهذه مجموعة من الأعمال قام بها إبراهيم، منها: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً [النحل:120] يعني: إماماً، والإمام لا يكون إماماً إلا إذا حقق تمام الصبر وتمام اليقين؛ لأن الله عز وجل يقول: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة:24]. ومنها: أنه حنيف، والحنيف هو المنحرف عن الشرك. ومنها: أنه لم يك من المشركين، وهذه كلها تدل على تمام التوحيد عنده. ومنها: أنه كان قانتاً لله، والقنوت هو دوام الطاعة والاستمرار عليها. ومنها: قوله تعالى: شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل:121] فهذه خمسة أعمال قام بها إبراهيم، فكانت النتيجة خمس فضائل: الأولى: أنه اجتبه، أي: اصطفاه. الثانية: قوله تعالى: وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل:121]. الثالثة: قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ فِي الذُّنُوبِ حَسَنَةً [النحل:122]، والمقصود بالحسنة التي آتاه الله عز وجل إياها في الدنيا: الذكر الحسن. الرابعة: قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [النحل:122] يعني: من أهل الجنة. الخامسة: قوله تعالى: ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْبِئْ مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [النحل:123] يعني أنه متبوع لتمام إمامته. وأما الآية الثانية التي جاء بها في المحققين للتوحيد فهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [المؤمنون:59] وهذه الآية قبلها وبعدها آيات في هذا الموضوع، وهي قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون:57-61]. فهذه هي أعلى درجات توحيد الألوهية. ثم ساق حديثاً طويلاً في قصة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأن السبب في تفضيلهم ودخولهم الجنة بغير حساب ولا عذاب هو تمام التوحيد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر أوصافهم قال: (هم الذين لا يسترقون) يعني: لا يطلبون الرقية، والرقية سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، (ولا يكتوون، ولا يتطيرون) يعني: لا يتشاءمون بالطيور أو غيرها، (وعلى ربهم يتوكلون)، وهذا يدل على أنهم من أهل التوحيد التام الكامل ولهذا كانوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الدعوة إلى توحيد الألوهية

إن الدعوة إلى توحيد الألوهية هي حقيقة دعوة الرسل، فالرسل جميعاً يدعون إلى توحيد الألوهية، يقول الله عز وجل: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل:36]. فعبادة الله واجتناب الطاغوت هما مفهوم (لا إله إلا الله)، وهو توحيد الألوهية، وهذا يدل على أن التوحيد هو أول أمر يجب أن يبدأ به الإنسان في الدعوة إلى الله عز وجل، وينبغي على الداعي إلى الله عز وجل أن تكون العقيدة هي محور دعوته، وأن يربط كل قضايا دعوته بالعقيدة؛ لأن العقيدة هي أساس الدين، ولهذا لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، وفي بعض الألفاظ: (إلى أن يوحدوا الله). وهذا يدل على أن أول واجب يجب على الناس هو توحيد الله، وأول ما يجب أن ندعو إليه هو العقيدة والتوحيد. وبهذا يتضح لنا فساد كثير من المناهج الضالة، ومن ذلك فساد حوار الأديان أو حوار الحضارات، وحوار الحضارات هو نفسه حوار الأديان؛ إلا أن كلمة (الأديان) حينما كانت حساسة جاء وابدلها بكلمة الحضارات، والحضارات المقصود بها الطريقة التي تكون متبعة في الغالب لدين من الأديان؛ إذ الأديان ليست طريقة واحدة، وإنما هي طرق متعددة. فمن الناس من يدعو إلى توحيد الأديان، فلا ينكر بعضهم على بعض، ولا يكفر بعضهم بعضاً، وهذه الدعوة بهذا المفهوم هي شرك وكفر؛ لأن ترك تكفير أهل الكتاب من الكفر، هذا النوع الأول. ومن الناس من يدعو إلى حوار الأديان، كما يحصل لكثير من الدعاة إلى الله عز وجل، فيقولون: نحن ندعو إلى حوار الأديان، ويقولون: نحن نكفرهم، وإنما نسكت عن القضايا الخلافية، ونبحث في القضايا المشتركة فيما بيننا. ومن القضايا المشتركة -مثلاً-: القضاء على الفقر والمخدرات، والتعاون على رفع الظلم عن المظلومين وعن الشعوب المضطهدة، وهكذا. وأما القضايا التي يكون فيها خلاف بيننا وبين اليهود أو بيننا وبين النصارى فهذه لا نثيرها؛ لأننا إذا أثارناها سيصبح هناك خلاف. فما هو حكم هذا النوع من أنواع الحوار؟ نقول: هذا بدعة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله كان بينهم وبين أقوامهم حوار، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إلى قومه ويحاورهم، فكيف كان حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه ومع أهل الأديان، وحوار الأنبياء السابقين مع أهل الأديان؟ لقد كان عن طريق دعوتهم إلى التوحيد، فقد كان الرسل يأتون إلى أقوامهم ويقولون لهم: ما أنتم عليه شرك أكبر، والواجب هو أن تسلموا لهذا الدين. ثم يقومون بإثبات هذا الدين بالأدلة التفصيلية وإبطال دينهم بالأدلة التفصيلية. أما حوار الأديان الموجود الآن فهو بدعة؛ لأنه يجتمع فيه مجموعة من القساوسة ومجموعة من المسلمين في مكان

واحد، ولا يقول المسلمون للقساوسة أسلموا، ولا يقولون لهم: هذا الدين خير لكم، ونحن نثبت لكم بالبراهين والأدلة أن الإسلام دين صحيح وأن دين النصرانية فاسد، بل يتواصلون بترك ذلك، ويقولون: لا نريد أن نثير الخلاف فيما بيننا، فأنتم لكم خصائص دينكم، ونحن لنا خصائص ديننا، وأنتم ترون ديننا باطلاً، ونحن نرى دينكم باطلاً، ولكننا لا نريد النقاش في هذا الموضوع؛ لأن هذا الموضوع يفرق بيننا، ونحن لا نريد أن نتفرق، بل نريد أن نجتمع، فيتناقشون في دفع الفقر، فيقولون: هناك بلاد فقيرة، فلنتعاون على أن ندفع الفقر الموجود فيها، أو يقولون: هناك شعوب مضطهدة نريد أن ندافع عنها. والمسلمون الذين يشاركون في حوار الأديان عندما يدخلون فيها يكون هدفهم هو تحريك النصارى لإنكار عمل اليهود في فلسطين، ومع هذا ما استطاعوا أن يصنعوا شيئاً، وربما أنكرت مجموعة منهم، ومجموعة لم تنكر. ومن أهداف أولئك المحاورين من المسلمين ما يعبرون عنه بقولهم: إننا نعيش في مرحلة استضعاف، وما دام أننا نعيش في مرحلة استضعاف فمن الخطأ الكبير أن يكون بيننا وبين الحضارات الأخرى -مثل: الحضارة الغربية- صدام، فهذا لا يمكن؛ لأننا لا نستطيع الصدام. ولهذا فإن الذين يدعون إلى حوار الحضارات يجرون في ركب الحضارة القوية ويتابعونها، ويقولون: نحن لا نريد الصراع بين الحضارات. مع أن الحقيقة هي أن الصراع مستمر بين الحق والباطل، سواء أكان هذا الحق ديناً أم حضارة وسواء أكان الباطل ديناً أم حضارة، فلا بد من الصراع. والواجب هو الالتزام بالحق والدفاع عنه، ودعوة الناس إليه، بأن نقول لهم: ندعوكم إلى هذا الدين بالبراهين ولترك ما أنتم عليه من الدين؛ لأن فيه فساداً. وبهذه الطريقة نستطيع أن ندخل معهم في الدعوة، أما أن نسكت عن القضايا الخلافية فلا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاء إلى كفار قريش لم يسكت عن القضايا الخلافية، مثل عبادة الأصنام، ومثل عدم تصديق النبوة الجديدة، ولم يقل: علينا أن نجتمع ليصير بيننا وبينكم حوار في قضية رفع الظلم المنتشر في الجزيرة العربية، وقد كان في الجزيرة العربية سلب ونهب وقتل وتشريد وإيذاء، وكان فيها عادات قبيحة جداً، مثل نكاح الرجل زوجة أبيه إذا مات، ونحو ذلك من التصرفات الشنيعة، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وإنما بدأ معهم من الجذر والبدائية، وقال لهم: اتركوا الدين الذي أنتم عليه؛ لأنه دين باطل. وهذا هو الأمر الذي ينبغي أن يبدأ به، وهذا هو المنهج المشروع في هذه القضية، وهذا هو ما يتعلق بهذا الباب، باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فلا بد من أن تكون الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وأن تكون بقية الأمور تابعة لهذه القضية.

فضل من حقق التوحيد

النوع الثاني من أنواع الفضائل التي أشار إليها هو فضل من حقق التوحيد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ومعنى (حقق التوحيد): خلصه وصفاه من الشرك والبدع والمعاصي؛ إذ الشرك والبدع والمعاصي تنقص وتضعف التوحيد، فمن صفى توحيده من الشرك الأكبر والأصغر، والبدع القولية والعملية، والمكفرة وغير المكفرة، والكبائر والصغائر من المعاصي؛ فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم ذكر دليلاً على ذلك، وهو خبر إبراهيم عليه السلام، يقول الله عز وجل: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل: 120-121]. فهذه مجموعة من الأعمال قام بها إبراهيم، منها: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً [النحل: 120] يعني: إماماً، والإمام لا يكون إماماً إلا إذا حقق تمام الصبر وتتمام اليقين؛ لأن الله عز وجل يقول: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: 24]. ومنها: أنه حنيف، والحنيف هو المنحرف عن الشرك. ومنها: أنه لم يك من المشركين، وهذه كلها تدل على تمام التوحيد عنده. ومنها: أنه كان قانتاً لله، والقنوت هو دوام الطاعة والاستمرار عليها. ومنها: قوله تعالى: شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ [النحل: 121] فهذه خمسة أعمال قام بها إبراهيم، فكانت النتيجة خمس فضائل: الأولى: أنه اجتبه، أي: اصطفاه. الثانية: قوله تعالى: وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [النحل: 121]. الثالثة: قوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً [النحل: 122]، والمقصود بالحسنة التي آتاه الله عز وجل إياها في الدنيا: الذكر الحسن. الرابعة: قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [النحل: 122] يعني: من أهل الجنة. الخامسة: قوله تعالى: ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْبِئْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [النحل: 123] يعني أنه متبوع لتتمام إمامته. وأما الآية الثانية التي جاء بها في المحققين للتوحيد فهي قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [المؤمنون: 59] وهذه الآية قبلها وبعدها آيات في هذا الموضوع، وهي قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون: 57-61]. فهذه هي أعلى درجات توحيد الألوهية. ثم ساق حديثاً طويلاً في قصة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأن السبب في

تفضيلهم ودخولهم الجنة بغير حساب ولا عذاب هو تمام التوحيد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر أوصافهم قال: (هم الذين لا يسترقون) يعني: لا يطلبون الرقية، والرقية سيأتي الحديث عنها إن شاء الله، (ولا يكتوون، ولا يتطيرون) يعني: لا يتشاءمون بالطيور أو غيرها، (وعلى ربهم يتوكلون)، وهذا يدل على أنهم من أهل التوحيد التام الكامل ولهذا كانوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الأسئلة

حكم تارك الصلاة والصيام مع نطقه بالشهادتين ودعواه الإسلام

السؤال: ما رأيكم فيمن يقول: (لا إله إلا الله) ولكنه لا يصلي ولا يصوم، ويقول: إنه مسلم؟ الجواب: لا يكفي قول (لا إله إلا الله) بدون الالتزام بشروطها ومقتضياتها، فلا إله إلا الله لها شروط ومقتضيات من حققها كان موحداً، ومن لم يحققها فإنه لا يكون موحداً، منها أنه يشترط في (لا إله إلا الله) أن يقولها صاحبها وهو مخلص يبتغي بذلك وجه الله، وأن يكفر بالطاغوت، وأن يقولها عن يقين، وأن يلتزم بها، ولهذا جاء في قصة اليهوديين اللذين أتيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنهما قالوا: (نشهد أنك رسول الله فقال: ما يمنعكما أن تتبعاني؟ فقالا: تقتلنا يهود)، فتركا الالتزام بها، ولم يكن قولهما: (نشهد أنك رسول الله) مفيداً لهما بأي حال من الأحوال؛ لأنه لا بد من الالتزام والانقياد لكلمة التوحيد، ولهذا فإن هرقل عظيم الروم عندما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم عرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (والله لو خلصت إليه لغسلت عن قدميه وشربت ماءهما) وكان يعرف أنه رسول الله، ولهذا جمع أساقفته في (دسكرة) واحدة وخرج عليهم من شرفة، ونصحهم بأن يلتزموا بالإسلام، ولكنهم اتجهوا إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فقال: ردوهم علي، ثم قال: إنما كنت أختبر التزامكم بدينكم. أسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة . كتاب التوحيد \[1\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [2] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

الشرك بالله تعالى أعظم الظلم، ومنه الأكبر المخرج من الملة، والأصغر الموقع لصاحبه في خطر عظيم، وقد جاءت النصوص بالتحذير منهما وبيان خطرهما على الدين، وبأن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، وهذا مما يدعو إلى الخوف من الوقوع فيهما أو في بعض أنواعهما كالرقى الشركية والتمايم والتولة، والطيرة، وغير ذلك من أنواع الشرك.

الشرك في الألوهية

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا هو الدرس الثاني من الدروس التي في شرح كتاب التوحيد للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وقد ذكرت أننا سنقسمها على ثمانية دروس، وسنأخذ في كل درس الأبواب ذات الموضوع الواحد المتشابه التي تُكوّن وحدة موضوعية واحدة في كل درس بإذن الله تعالى، ولا مانع من أن نملي هذه الموضوعات والأبواب على شكل أرقام. فالدرس الأول: في توحيد الألوهية حقيقته وأهميته وفضله، والدعوة إليه، وحماية جنابه. وفيه الأبواب ذات الأرقام التالية: 1، 2، 4، 5، 21، 65. الدرس الثاني: في الشرك في الألوهية وبعض أنواع الشرك الأصغر. وسيستغرق -إن شاء الله تعالى- هذا الدرس الأبواب التالية: 1، 6، 7، 8، 10، 19، 35، 36. وهذا الأبواب سنمر عليها -إن شاء الله- في هذا الدرس، وهي في الحديث عن موضوع الشرك في الألوهية وبعض أنواع الشرك الأصغر. الدرس الثالث: في أسباب الشرك وبطلانه، وسيكون في الأبواب ذات الأرقام التالية: 14، 15، 17، 18، 20، 27، 60. الدرس الرابع سيكون عن الأعمال الشركية في توحيد الألوهية، وموضوع الأعمال الشركية في توحيد الألوهية له أبواب كثيرة في كتاب التوحيد، ولهذا سنتحدث عنه في درسين بإذن الله تعالى: ففي الدرس الأول سنتحدث في الأبواب ذات الأرقام التالية: 9، 11، 12، 13، 23، 24، 25، 26، 28، 29. وفي الدرس الثاني سيكون في الأبواب ذات الأرقام التالية: 30، 23، 31، 37، 38، 50. والدرس السادس سيكون -إن شاء الله تعالى- في موضوع الشرك في الربوبية والقدر والأسماء والصفات، وسيكون في الأبواب ذات الأرقام التالية: 33، 34، 40، 48، 58، 59، 63، 64، 65. والدرس السابع سيكون عن القبوريين وشبهاتهم، وهذا الدرس سيكون في بابين فقط، في الباب السابع عشر، والباب الثاني والعشرين، وفي هذا الدرس -إن شاء الله تعالى- سنلخص مقاصد كتاب كشف الشبهات للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى. وأما القدر فهو تابع للربوبية؛ لأنه يتعلق بأفعال الله سبحانه تعالى، وهو الباب رقم: 40. والدرس الثامن هو في شرك الألفاظ، وهذا الدرس يستغرق الأبواب ذات الأرقام التالية: 41، 43، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 61، 62. فهذه الأبواب جميعاً موضوعها واحد، وهو شرك الألفاظ. وبهذه الطريقة سننتهي -إن شاء الله تعالى- من كتاب التوحيد كله من الناحية الموضوعية، ولن نأخذ الكتاب بالترتيب؛ لأنه في بعض الأحيان قد يأتي باب ثم يأتي باب آخر في نفس الموضوع بعد عدة مواضع، مثل حماية المصطفى لجناح التوحيد، فقد تكرر مرتين، وقد بينا السبب في تكرير الإمام له مرتين. وأما الموضوع الذي سنتحدث عنه في هذا الدرس -إن شاء الله تعالى- فهو الشرك في الألوهية وبعض أنواع الشرك الأصغر. الشرك: هو أن تجعل لله سبحانه شريكاً في شيء من خصائصه، وقد حذر الله سبحانه وتعالى منه تحذيراً كبيراً في القرآن، وترتب عليه أحكام عظيمة في الدنيا وأحكام عظيمة في الآخرة، فمن الأحكام التي تترتب عليه في الدنيا: انتفاء الأخوة، وانتفاء الولاء، ووجوب البراءة، ووجوب الجهاد عندما تتحقق أسبابه، وعدم جواز النكاح، وعدم الإرث؛ لأن المسلم لا يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، وغير ذلك أحكام كثيرة تتعلق بالعلاقة بين المسلم والكافر، وهذه أمور نعيشها ونلاحظها. فالمشرك لا تنطبق عليه أحكام المسلم في الدنيا، وليس له شيء من حقوق المسلم في الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يكون خالداً مخلداً في نار جهنم، ولا يمكن أن يدخل الجنة أبداً.

دلائل معرفة الشرك الأصغر

وهناك مجموعة من الدلائل التي يمكن أن نعرف بها الشرك الأصغر لنميزه، وليكون واضحاً لنا، ومن ذلك: الأمر الأول: التصريح بأن العمل شرك أصغر، مثل تصريح النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء)، فهذا تصريح بأنه شرك أصغر، ويشبه هذا إرادة الإنسان بعمله الدنيا. الأمر الثاني: عدم ترتب حد الردة عليه، فقد كان يحصل الشرك

الأصغر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد الردة، ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، والتمايم لبسها بعض الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ذلك، وأمر بأن تقطع الأوتار التي تعلق في رقاب الإبل، ولم يرتب أحكام الردة والكفر المخرج من الملة على أفعال هؤلاء وتصرفاتهم، فهذا يدل على أن هذا المشرك ليس شركاً مخرجاً عن الملة، بل هو شرك أصغر. الأمر الثالث: أن يأتي لفظ الشرك منكراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الرقى هي الشرك؛ لأن الشرك عندما يكون معرباً بـ(أل) فإنه يدل على أنه الشرك المعهود، وهو الأكبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة)، فهنا عرف الشرك بـ(أل)، فهذا يدل دلالة صريحة على أن الشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر، بينما قال صلى الله عليه وسلم في الشرك الأصغر: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فجاءت كلمة (شرك) نكرة ليس فيها (أل)، وهذا يدل على أن ذلك شرك أصغر. الأمر الرابع: فهم الصحابة للنصوص معتبر، فإذا فهم الصحابة من نص من النصوص الشرك فيه ليس مخرجاً من الملة؛ فهذا يدل على أنه شرك أصغر، وسيأتي بيانه -إن شاء الله- معنا في باب الطيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك)، قال بعض الصحابة: وما منا إلا ويقع في شيء من ذلك، ولكن يغلبه الإنسان بالتوكل. فهذه مجموعة من القواعد والضوابط في موضوع الشرك الأصغر، أما أنواع الشرك الأصغر فهي كثيرة جداً وقد ذكر الشيخ الرقى الشريكية وذكر التمايم وذكر التبرك وذكر الطيرة، وذكر الحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأمور التي هي من الشرك الأصغر.

الرقى وأقسامها وأحكامها

الرقى: هي التعاويذ والأدعية التي يقرؤها الإنسان على نفسه أو على غيره لدفع المرض أو لرفعه، مثل قراءة شيء من القرآن على مريض بالسحر أو العين، أو بأي نوع من أنواع المرض، وكذلك التعاويذ التي يأتي بها الإنسان لبيتعد عن الأمراض قبل وقوعها. والرقية تنقسم إلى قسمين: رقية شرعية ورقية شركية. فالرقية الشرعية: هي التي تكون بالقرآن الكريم وبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبالكلام الصحيح الواضح، فإذا كان هناك أدعية صحيحة واضحة مبينة ليس فيها تكلف، فإنها تعتبر من الرقى الشرعية، ولهذا ورد في حديث عوف بن مالك الأشجعي أنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) وكان عند أهل الجاهلية رقى يرقون بها، فلما سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً). وكان عند اليهود والنصارى رقى في التوراة والإنجيل، وبعض هذه الرقى صحيح؛ ففي الموطأ بسند صحيح أن أبا بكر دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها يهودية ترقبها فقال: (ارقيها بكتاب الله) يعني: بالتوراة. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: وهذا يدل على أن الرقى والأدوية الموجودة في التوراة والإنجيل لم يلحقها التحريف؛ لأنها لو حرفت لفسدت، فهم يعرفون ذلك، فهم لم يحرفوا إلا العقائد والأحكام، أما هذه الرقى فلم يحرفوها، فالرقى ليست توقيفية، بل يمكن فيها الاجتهاد من حيث ألفاظ الرقية إذا كانت صحيحة من حيث المعاني، ولهذا يشترط أن تكون باللغة العربية الواضحة المبينة البينة، أما الرقى بالألفاظ الأعجمية والمجهولة والرموز والأحرف والأرقام ونحو ذلك مما يستعمله بعض الكهنة والمشعوذين والسحرة، فلا يجوز أبداً أن يرقى الإنسان بها أو أن يجعل غيره يرقيه بها. وأما الرقى الشريكية فتتنقسم إلى قسمين: رقى شرك أكبر، ورقى شرك أصغر. ورقى الشرك الأكبر نوعان: النوع الأول: الرقية التي تتضمن استغاثة بغير الله، أو دعوة لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فهذا شرك أكبر، وسيأتي معنا موضوع خاص يتعلق بدعاء غير الله سبحانه وتعالى. النوع الثاني: أن يعتمد الإنسان على الرقية اعتماداً تاماً من كل وجه، فهذا شرك أكبر في الربوبية. أما من اعتقد أنها سبب من الأسباب فحكم ذلك بحسب نوع الرقية، فإن كانت رقية شرعية فلا شيء فيها، وإن كانت غير شرعية فإنه بحسب ما فيها من الكلام كما سبق أن بينا.

دلائل معرفة الشرك الأصغر

وهناك مجموعة من الدلائل التي يمكن أن نعرف بها الشرك الأصغر لنميزه، وليكون واضحاً لنا، ومن ذلك: الأمر الأول: التصريح بأن العمل شرك أصغر، مثل تصريح النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء)، فهذا تصريح بأنه شرك أصغر، ويشبه هذا إرادة الإنسان بعمله الدنيا. الأمر الثاني: عدم ترتب حد الردة عليه، فقد كان يحصل الشرك الأصغر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد الردة، ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، والتمايم لبسها بعض الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكر

عليهم ذلك، وأمر بأن تقطع الأوتار التي تعلق في رقاب الإبل، ولم يرتب أحكام الردة والكفر المخرج من الملة على أفعال هؤلاء وتصرفاتهم، فهذا يدل على أن هذا المشرك ليس شركاً مخرجاً عن الملة، بل هو شرك أصغر. الأمر الثالث: أن يأتي لفظ الشرك منكراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الرقى هي الشرك؛ لأن الشرك عندما يكون معرفاً بـ(أل) فإنه يدل على أنه الشرك المعهود، وهو الأكبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة)، فهنا عرف الشرك بـ(أل)، فهذا يدل دلالة صريحة على أن الشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر، بينما قال صلى الله عليه وسلم في الشرك الأصغر: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فجاءت كلمة (شرك) نكرة ليس فيها (أل)، وهذا يدل على أن ذلك شرك أصغر. الأمر الرابع: فهم الصحابة للنصوص معتبر، فإذا فهم الصحابة من نص من النصوص الشرك فيه ليس مخرجاً من الملة؛ فهذا يدل على أنه شرك أصغر، وسيأتي بيانه -إن شاء الله- معنا في باب الطيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك)، قال بعض الصحابة: وما منا إلا ويقع في شيء من ذلك، ولكن يغلبه الإنسان بالتوكل. فهذه مجموعة من القواعد والضوابط في موضوع الشرك الأصغر، أما أنواع الشرك الأصغر فهي كثيرة جداً وقد ذكر الشيخ الرقى الشريكية وذكر التمايم وذكر التبرك وذكر الطيرة، وذكر الحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأمور التي هي من الشرك الأصغر.

التمايم وأحكامها

التمايم: جمع تميمة، والتميمة هي التعاليق التي تعلق، سواء على الرقبة أو في اليد أو في القدم أو في أي مكان، وهذه التمايم من الشرك، وسيأتي معنا في حديث صريح وصفها بالشرك، وتكون من الشرك الأكبر إذا اعتمد الإنسان عليها اعتماداً تاماً، أما إذا اعتبر أنها سبب من الأسباب فذلك شرك أصغر؛ لأنه اعتبر شيئاً من الأشياء سبباً وهو ليس بسبب لا شرعاً ولا قدرأً، فهذه الخيوط من التمايم ليست دواءً معروفاً عند الأطباء، وفي نفس الوقت ليست دواءً مشروعاً؛ إذ يشرعها الله عز وجل ولم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي من الشرك الأصغر. والفارق بين الشرك الأكبر والأصغر فيما يتعلق بالتمايم هو اعتماد القلب، فإذا اعتمد عليها اعتماداً تاماً شاملاً فهذا شرك أكبر، وإذا لم يعتمد عليها بل اعتبر أنها سبب وأن الشافي هو الله سبحانه وتعالى، فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل شيئاً من الأشياء من الأسباب وهو ليس من الأسباب شرعاً ولا قدرأً. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه. وقول الله تعالى: قُلْ أَقْرَأْتُمْ مَا تُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ [الزمر:38]. وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: (ما هذا؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً)، رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له). ومن التمايم حجارة يأخذونها من البحر يعلقونها على رقابهم أو على رقاب دوابهم يتقون بها العين. والحديث الأول -حديث عمران بن الحصين- فيه إشكال كبير عند العلماء في قوله: (إنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً)، فإن ظاهر الحديث أنه كافر كفراً أكبر، ولكن يبدو -والله تعالى أعلم- أن هذا الحديث ليس صحيحاً، بل هو حديث ضعيف رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم، وفي إسناده فضالة بن المبارك، وهو ضعيف؛ لأنه مدلس قبيح التدليس، وقد عنعن. أما الحديث الثاني -وهو قوله: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)- ففي سنده ضعف أيضاً، وقد رواه الإمام أحمد وغيره، وإن كان بعض أهل العلم قد صححه، مثل المنذري والمناوي، وذكر الحافظ رحمه الله في: (تعجيل المنفعة) أن رجاله موثقون، فالحديث فيه خلاف من حيث صحته وضعفه، ولكن الرواية التي بعده رواية صحيحة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك)]. وهذا يدل على أن التمايم من الشرك، وتكون شركاً أصغر أو شركاً أكبر بحسب ما يكون بقلب صاحبها، فإن اعتقد أن هذه التميمة تنفع وتضر من دون الله سبحانه وتعالى، أو مع الله فهذا شرك أكبر، وإن اعتبرها سبباً من الأسباب فهذا شرك أصغر. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106]].

دلائل معرفة الشرك الأصغر

وهناك مجموعة من الدلائل التي يمكن أن نعرف بها الشرك الأصغر لنميزه، وليكون واضحاً لنا، ومن ذلك: الأمر الأول: التصريح بأن العمل شرك أصغر، مثل تصريح النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء)، فهذا

تصريح بأنه شرك أصغر، ويشبه هذا إرادة الإنسان بعمله الدنيا. الأمر الثاني: عدم ترتب حد الردة عليه، فقد كان يحصل الشرك الأصغر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد الردة، ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، والتمايم لبسها بعض الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ذلك، وأمر بأن تقطع الأوتار التي تعلق في رقاب الإبل، ولم يرتب أحكام الردة والكفر المخرج من الملة على أفعال هؤلاء وتصرفاتهم، فهذا يدل على أن هذا المشرك ليس شركاً مخرجاً عن الملة، بل هو شرك أصغر. الأمر الثالث: أن يأتي لفظ الشرك منكراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الرقى هي الشرك؛ لأن الشرك عندما يكون معرفاً بـ(أل) فإنه يدل على أنه الشرك المعهود، وهو الأكبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة)، فهنا عرف الشرك بـ(أل)، فهذا يدل دلالة صريحة على أن الشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر، بينما قال صلى الله عليه وسلم في الشرك الأصغر: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فجاءت كلمة (شرك) نكرة ليس فيها (أل)، وهذا يدل على أن ذلك شرك أصغر. الأمر الرابع: فهم الصحابة للنصوص معتبر، فإذا فهم الصحابة من نص من النصوص الشرك فيه ليس مخرجاً من الملة؛ فهذا يدل على أنه شرك أصغر، وسيأتي بيانه -إن شاء الله- معنا في باب الطيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك)، قال بعض الصحابة: وما منا إلا ويقع في شيء من ذلك، ولكن يغلبه الإنسان بالتوكل. فهذه مجموعة من القواعد والضوابط في موضوع الشرك الأصغر، أما أنواع الشرك الأصغر فهي كثيرة جداً وقد ذكر الشيخ الرقى الشريكية وذكر التمايم وذكر التبرك وذكر الطيرة، وذكر الحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأمور التي هي من الشرك الأصغر.

باب ما جاء في الرقى والتمايم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ما جاء في الرقى والتمايم. في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه: (كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت)]. سبق أن بينا أنهم كانوا يجعلون القلائد على الجمال والدواب وعلى الأطفال وعلى أنفسهم يتقون بها العين، وهنا مسألة لا بد من التنبيه عليها، وهي أن التمايم تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: تمايم ليس في حكمها خلاف، وهي التمايم التي تكون من الأحجار أو الودع أو الخيوط ونحو ذلك، ويدخل في ذلك ما يضعه بعض الناس في سياراتهم مثل العرائس ونحوها يتقون بها العين، وبعضهم قد يجعل في درج غرفة النوم شيئاً من الأشياء يظن أنه يدفع عنه العين، فكل هذه من التمايم ولو اختلفت صورها وأشكالها؛ لأن حقيقتها واحدة. القسم الثاني: تعليق القرآن، وهو مختلف فيه، فلو أن إنساناً علق في رقبتة مصحفاً يتقي به العين، أو من أجل أن يزيل عنه مرضاً به؛ فهذه المسألة وقع فيها خلاف بين السلف رضوان الله عليهم، فمنهم من جوزها وأباحها؛ لأن القرآن مما يستشفى به، والصحيح من أقوال أهل العلم -وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما منع ذلك؛ لأن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في التمايم عامة، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف عنه أنه شرع للناس أن يعلقوا هذه التمايم من القرآن، ولأن القرآن أنزله الله عز وجل للتدبر ولم ينزله للتعلق، ولأنه إذا وضع في رقبة الإنسان أو في رقبة دابة من الدواب؛ فإن هذا مدعاة للاستهانة به، ولأن الشفاء المقصود بالقرآن هو بتلاوته وقراءته والرقية به، وليس المقصود تعليقه، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم كيفية الاستشفاء به ووضحه عليه الصلاة والسلام. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمايم والتولة شرك). رواه أحمد وأبو داود]. هذا واضح في أن الرقى منها ما يكون شركاً، وهناك أحاديث كثيرة تدل على أن الرقى منها ما يكون شرعياً، ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى ورقى، ومنها أنه قال: (اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) فقسم الرقى إلى قسمين: قسم لا بأس به، وقسم به بأس، وهو الشرك. وأما التولة فهي نوع من أنواع السحر وهو سحر العطف؛ إذ السحر ينقسم إلى قسمين: صرف وعطف، فالعطف هو جمع بعض القلوب على بعض، والصرف صرف بعضها عن بعض، والتولة: اسم لسحر العطف الذي يحبب بعض الناس إلى بعضهم، وقد فسره الشيخ بذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه). رواه أحمد والترمذي]. وأحاديث ابن مسعود وحديث عبد الله بن عكيم كلها صحيحة محتج بها. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [التمايم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يفرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه]. لأنه في حديث بريدة بن الحصيب (أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في الرقى من العين والحمى)، والحمى: هي لدغة العقرب أو الحية التي يكون فيها السم، بل إنه

عليه الصلاة والسلام رخص فيما هو أوسع من ذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [التولة: شيء يضعونه يزعمون أنه يحجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن رويغ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رويغ! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترأ، أو استنجد برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمداً بريء منه)]. وهذا حديث صحيح، وموطن الشاهد منه قوله: (أو تقلد وترأ) يعني: لدفع العين أو رفع البلاء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: من قطع تميمه من إنسان كان كعدل رقبة. رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمايم كلها من القرآن وغير القرآن]. إبراهيم هو النخعي، وهو من فقهاء الكوفة، وقوله: (كانوا) يعني أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه.

دلائل معرفة الشرك الأصغر

وهناك مجموعة من الدلائل التي يمكن أن نعرف بها الشرك الأصغر لنميزه، وليكون واضحاً لنا، ومن ذلك: الأمر الأول: التصريح بأن العمل شرك أصغر، مثل تصريح النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء)، فهذا تصريح بأنه شرك أصغر، ويشبه هذا إرادة الإنسان بعمله الدنيا. الأمر الثاني: عدم ترتب حد الردة عليه، فقد كان يحصل الشرك الأصغر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد الردة، ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، والتمايم لبسها بعض الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ذلك، وأمر بأن تقطع الأوتار التي تعلق في رقاب الإبل، ولم يرتب أحكام الردة والكفر المخرج من الملة على أفعال هؤلاء وتصرفاتهم، فهذا يدل على أن هذا المشرك ليس شركاً مخرجاً عن الملة، بل هو شرك أصغر. الأمر الثالث: أن يأتي لفظ الشرك منكراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الرقى هي الشرك؛ لأن الشرك عندما يكون معرفاً بـ(أل) فإنه يدل على أنه الشرك المعهود، وهو الأكبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة)، فهنا عرف الشرك بـ(أل)، فهذا يدل دلالة صريحة على أن الشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر، بينما قال صلى الله عليه وسلم في الشرك الأصغر: (الرقى والتمايم والتولة شرك)، فجاءت كلمة (شرك) نكرة ليس فيها (أل)، وهذا يدل على أن ذلك شرك أصغر. الأمر الرابع: فهم الصحابة للنصوص معتبر، فإذا فهم الصحابة من نص من النصوص الشرك فيه ليس مخرجاً من الملة؛ فهذا يدل على أنه شرك أصغر، وسيأتي بيانه -إن شاء الله- معنا في باب الطيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك)، قال بعض الصحابة: وما منا إلا ويقع في شيء من ذلك، ولكن يغلبه الإنسان بالتوكل. فهذه مجموعة من القواعد والضوابط في موضوع الشرك الأصغر، أما أنواع الشرك الأصغر فهي كثيرة جداً وقد ذكر الشيخ الرقى الشريكية وذكر التمايم وذكر التبرك وذكر الطيرة، وذكر الحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأمور التي هي من الشرك الأصغر.

التبرك وأقسامه وأحكامه

والنوع الثالث من أنواع الشرك الأصغر هو: التبرك، والمقصود بالتبرك: طلب البركة، وطلب البركة منه شيء مشروع، فإن الشرع قد كشف عن مواطن وأماكن وأشخاص وأقوام مباركين، فماء زمزم مبارك، وبلاد الشام مباركة، والحرم مبارك، وهناك أمور كثيرة مباركة بين النبي صلى الله عليه وسلم أن فيها بركة، وبين كيفية استعمال البركة الموجودة فيها. وهناك نوع ثان من التبرك، وهو التبرك المذموم، وهو أن يتبرك الإنسان بأحجار أو بأشجار، أو يتبرك بأشخاص، أو يتبرك بفضلات إنسان، كال تبرك بما بقي من مائه أو ما بقي من أكله أو لبسه أو نحو ذلك، وكل ذلك من الشرك الأصغر. إذاً: يمكن تقسيم التبرك إلى قسمين: تبرك محمود، وتبرك مذموم. فالتبرك المذموم: يشترط فيه عدة شروط. الشرط الأول: أن يدل دليل صحيح صريح على أن هذا الأمر فيه بركة. الشرط الثاني: أن يكون التبرك به بنفس الطريقة المشروعة التي شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم، فماء زمزم يكون التبرك به بشربه والتضلع منه، فلو أن إنساناً أخذ ماء زمزم ليداوي به الجروح فإننا نقول له: أخطأت الطريق هنا. وبلاد الشام مباركة، والحرم مبارك، فلو أن إنساناً جاء إلى الحرم وقال: هذا مبارك، وبدأ يتمسح بأشجاره وأحجاره ويأكل من ترابه ويعمل نحو هذه الأعمال التي لم ترد في الشرع، فإننا نقول له: قد أخطأت، فإن الحرم مبارك، والبركة التي تكون فيه هي بكرة الطواف بالطريقة المشروعة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم. والنوع الثاني: التبرك الممنوع، وينقسم إلى قسمين: القسم الأول: ادعاء البركة في أماكن لم يدل الدليل الشرعي على أنها مباركة، فبعض الناس يأتي إلى قبر من القبور وينصب عليه قبة كبيرة ويجعل له مدخلاً ومخرجاً، ويجلس فيه ويقول: هذه روضة من رياض الجنة، وهذا المكان مبارك، فهذا ابتدع بدعة من عنده، فإن أماكن

القبور لم يدل دليل صحيح صريح على أنها أماكن مباركة، فلا بد من أن يدل دليل صحيح على أن هذا الأمر مبارك؛ لأن البركة أمر موجود في العين المباركة لا يمكن أن يكشف عنه إلا من خلقه، وهو الله سبحانه وتعالى، وذلك إما بكلام منه في القرآن أو بكلام من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحى، أما ادعاء البركة بدون دليل فهو من الشرك. القسم الثاني: التبرك ببعض الأماكن المباركة بغير الطريقة الشرعية، مثل الذي يأتي ويتمسح بمقام إبراهيم، أو يأتي ويتمسح بسواري الحرم، أو يذهب إلى بيت المقدس ويتمسح به ونحو ذلك، مع أن هذه أماكن مباركة دل الدليل على أنها مباركة، لكنه تبرك بها بشكل غير مشروع فهذا من الشرك الأصغر. والتبرك قد يكون شركاً أكبر إذا أوصلك اعتقاد البركة في الشيء إلى عبادته، فالذي جعل كفار قريش يعبدون مناة واللات والعزى ونحو ذلك هو التبرك، واللات كان رجلاً صالحاً يلت السوق للحجاج ويطعمهم ويسقيهم، وكان رجلاً فاضلاً، فلما مات عكفوا على قبره فتبركوا به، ووصل التبرك به إلى درجة أنهم أصبحوا يعبدونه من دون الله، ويظنون أنه يرفع عبادتهم إلى الله سبحانه وتعالى، فوقعوا في الشرك، وهذا هو -أيضاً- فعل قوم نوح، كما قال الله عز وجل: وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح:23]، فهذه أسماء لرجال صالحين كانوا في قوم نوح ماتوا في شهر واحد، فصوروا على صورهم على هيئة تماثيل، ثم بعد أن نسي العلم وزال عبدوا من دون الله سبحانه وتعالى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما. وقول الله تعالى: أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى [النجم:19-22]. جاء الشيخ بهذه الآية مع أنها في شرك المشركين المخرج من الملة؛ لأن السبب الذي جعلهم يعبدونها من دون الله هو التبرك، فالتبرك قد يصل إلى الشرك الأكبر إذا أوصل صاحبه إلى عبادة المبارك، وقد يصل إلى الشرك الأصغر إذا كان وسيلة، كما بينا في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط]. يعني: يعلقون أسلحتهم بها لأجل البركة. قال: [فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر! إنها السنن، قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون [الأعراف:138]، لتركن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي وصححه]. فهؤلاء قوم من المشركين كانوا يتبركون بشجرة ينوطون بها أسلحتهم، فأراد هؤلاء الحدثاء العهد بكفر أن يكون لهم سدرة يتبركون بها، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وحذرهم تحذيراً كبيراً؛ لأن هذا طريق إلى الشرك، أو لأن بعض صور التبرك من الشرك.

دلائل معرفة الشرك الأصغر

وهناك مجموعة من الدلائل التي يمكن أن نعرف بها الشرك الأصغر لنميزه، وليكون واضحاً لنا، ومن ذلك: الأمر الأول: التصريح بأن العمل شرك أصغر، مثل تصريح النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء)، فهذا تصريح بأنه شرك أصغر، ويشبه هذا إرادة الإنسان بعمله الدنيا. الأمر الثاني: عدم ترتب حد الردة عليه، فقد كان يحصل الشرك الأصغر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرتب النبي صلى الله عليه وسلم عليه حد الردة، ويدل لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرقى والتماائم والتولة شرك)، والتماائم لبسها بعض الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكر عليهم ذلك، وأمر بأن تقطع الأوتار التي تعلق في رقاب الإبل، ولم يرتب أحكام الردة والكفر المخرج من الملة على أفعال هؤلاء وتصرفاتهم، فهذا يدل على أن هذا الشرك ليس شركاً مخرجاً عن الملة، بل هو شرك أصغر. الأمر الثالث: أن يأتي لفظ الشرك منكراً، كقوله صلى الله عليه وسلم: (الرقى والتماائم والتولة شرك)، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الرقى هي الشرك؛ لأن الشرك عندما يكون معرباً بـ(أل) فإنه يدل على أنه الشرك المعهود، وهو الأكبر، كقوله صلى الله عليه وسلم: (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة)، فهنا عرف الشرك بـ(أل)، فهذا يدل دلالة صريحة على أن الشرك المعني هنا هو الشرك الأكبر، بينما قال صلى الله عليه وسلم في الشرك الأصغر: (الرقى والتماائم والتولة شرك)، فجاءت كلمة (شرك) نكرة ليس فيها (أل)، وهذا يدل على أن ذلك شرك أصغر. الأمر الرابع: فهم الصحابة للنصوص معتبر، فإذا فهم الصحابة من نص من النصوص الشرك فيه ليس مخرجاً من الملة؛ فهذا يدل على أنه شرك أصغر، وسيأتي بيانه -إن شاء الله- معنا في باب الطيرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الطيرة شرك)، قال بعض الصحابة: وما منا إلا ويقع في شيء من ذلك، ولكن يغلبه الإنسان بالتوكل. فهذه مجموعة من القواعد والضوابط في موضوع الشرك الأصغر، أما أنواع الشرك الأصغر فهي كثيرة جداً وقد ذكر الشيخ الرقى الشركية وذكر التماائم

وذكر التبرك وذكر الطيرة، وذكر الحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأمور التي هي من الشرك الأصغر.

الذبح وما يحرم منه

ومن أنواع الشرك الأصغر: الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله سبحانه وتعالى، فلو أن مذبحاً تذبح فيه الهدايا والقرايين ونحو ذلك، وكان هذا المذبح مخصصاً للقرايين التي تذبح لغير الله عز وجل، كان تذبح للأولياء أو تذبح للجن والشياطين، فلا يجوز للمسلم أن يأتي ويذبح لله فيها، مع أنه ذبح لله وليس لغير الله، ولكن ذلك وسيلة إلى الشرك الأكبر، وقد سبق أن ضبطنا الشرك الأصغر بأنه هو الذي يكون وسيلة إلى الشرك الأكبر، والذبح عبادة مصروفة لله، لكن لما كان في مكان يذبح فيه لغير الله صار وسيلة من وسائل الشرك، فانطبق عليه حكم الشرك الأصغر، كما هو الحال في الغلو والتطير ونحو ذلك مما سيأتي بيانه في وسائل الشرك.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال المؤلف رحمه الله: [باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. وقوله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا [التوبة:108]]. قول الله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا هذا في قصة مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، من أجل أن يضاهوا به مسجد قباء، فنهاه الله عز وجل أن يقوم فيه أبداً؛ لأن الموضع الذي يعبد فيه غير الله عز وجل أو لا يكون خالصاً لله عز وجل لا يصح الجلوس فيه والبقاء فيه، فالشاهد من هذه الآية للباب هو من جهة كون هذا المكان بني لغير الله سبحانه وتعالى، وليس فيه ما يتعلق بالذبح، فهو من باب الاستدلال بجهة عامة وليست جهة خاصة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذر، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم). رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما. بوانة: موطن في الطريق للخارج من المدينة إلى تبوك، وهو موجود الآن بهذا الاسم. وهذا الحديث يدل على المنع من عبادة الله عز وجل في المكان الذي يعبد فيه غير الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك ذريعة لعبادة غير الله، ووسيلة وطريق يفضي إليها، وهذا الحديث يدل على باب عظيم، وهو باب سد الذرائع، فهذا الباب باب عظيم يجهله كثير من الناس، وفي نفس الوقت يستغربون من مواقف بعض الصالحين وبعض أهل العلم الذين يقفون من بعض التصرفات ومن بعض الأعمال موقفاً قوياً، فيتعجبون من هذا التصرف مع أن الشيء ليس حراماً في الظاهر، والسبب هو أن الشيء إذا كان وسيلة وطريقة إلى محرم فإنه لا يجوز أبداً بأي حال من الأحوال، فأى وسيلة من وسائل الاختلاط تكون محرمة، وأى وسيلة من وسائل عبادة غير الله عز وجل تكون محرمة، وأي وسيلة من وسائل الشر بأي وجه من الوجوه تكون محرمة، فالحديث مع النساء -مثلاً- فيما لا داعي إليه محرم؛ لأنه طريق سيوصل إلى الحرام، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحديث مع النساء، ويحمل نهيه على ما لا داعي إليه، أما إذا كان هناك داع فإنه يصح الحديث، كما حصل منه عليه الصلاة والسلام. وهكذا أشياء كثيرة جداً لم تحرم لذاتها، وإنما لأنها طريق مفض إلى الحرام، وهذه القاعدة يجهلها كثير من الناس ولا يعرفها، ولهذا قد يتعجب من بعض آراء وأفكار ومناهج بعض المصلحين وبعض الدعاة في بعض التصرفات والأقوال والأعمال.

باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟! في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: (أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح -أو العبد الصالح- بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنه القبور وفتنة التماثيل]. هذا الباب يشبه الباب الذي قبله، والذي قبله كان في الذبح، وهذا الباب عام فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، يعني: جاء إلى قبر رجل صالح وصلى عنده لله، أو دعا عنده لله، أو بدأ يقرأ القرآن عنده لله عز وجل، فهذا لا يجوز؛ لأنه وسيلة إلى الشرك، فإذا كان النهي عن عبادة الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده من دون الله؟! فلا شك في أن النهي سيكون أكبر، فهذا الباب يشبه الباب الذي قبله، والفرق بينهما أن الأول في الذبح وهذا عام في العبادات كلها. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولهما عنها قالت: (لما نُزِّلَ برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً) أخرجاه]. وموطن الشاهد من الحديث

هو قوله: (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يعني: جعلوا المكان الذي يقبر فيه النبي مسجداً للصلاة، فلو كانت الصلاة لله عز وجل فإنها تجوز؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك). وموطن الشاهد هنا هو نفسه موطن الشاهد من الحديث السابق. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبين مسجداً]. قوله: [وهو في السياق] يعني: في سياق الموت. والمعنى أنه لو جاء إلى مقبرة ليس فيها مسجد، وأنشأ الصلاة عندها فإنه تشمله هذه الأحاديث جميعاً، فكيف إذا بنى مسجداً وأصبح مكاناً يعهد للتعبدة؟! فلا شك فإن ذلك سيكون أشد، ويكون انطباق الحديث عليه أصرح. قال: [وهو معنى قولها: (خشي أن يتخذ مسجداً)]. فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد). ورواه أبو حاتم في صحيحه. هذه النصوص كلها تدل على أن اتخاذ القبور مساجد وأماكن للصلاة من الوسائل التي توصل إلى الشرك الأكبر، وهي من الشرك الأصغر، وهي تدل على قاعدة عظيمة من قواعد الشرع، وهي قاعدة سد الذريعة.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال المؤلف رحمه الله: [باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. وقوله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا [التوبة:108]]. قول الله تعالى: لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا هذا في قصة مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، من أجل أن يضاهاوا به مسجد قباء، فنهاه الله عز وجل أن يقوم فيه أبداً؛ لأن الموضع الذي يعبد فيه غير الله عز وجل أو لا يكون خالصاً لله عز وجل لا يصح الجلوس فيه والبقاء فيه، فالشاهد من هذه الآية للباب هو من جهة كون هذا المكان بني لغير الله سبحانه وتعالى، وليس فيه ما يتعلق بالذبح، فهو من باب الاستدلال بجهة عامة وليست جهة خاصة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذر، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم). رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما. ببوانة: موطن في الطريق للخارج من المدينة إلى تبوك، وهو موجود الآن بهذا الاسم. وهذا الحديث يدل على المنع من عبادة الله عز وجل في المكان الذي يعبد فيه غير الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك ذريعة لعبادة غير الله، ووسيلة وطريق يفضي إليها، وهذا الحديث يدل على باب عظيم، وهو باب سد الذرائع، فهذا الباب باب عظيم يجهله كثير من الناس، وفي نفس الوقت يستغربون من مواقف بعض الصالحين وبعض أهل العلم الذين يقفون من بعض التصرفات ومن بعض الأعمال موقفاً قوياً، فيتعجبون من هذا التصرف مع أن الشيء ليس حراماً في الظاهر، والسبب هو أن الشيء إذا كان وسيلة وطريقة إلى محرم فإنه لا يجوز أبداً بأي حال من الأحوال، فأى وسيلة من وسائل الاختلاط تكون محرمة، وأى وسيلة من وسائل عبادة غير الله عز وجل تكون محرمة، وأى وسيلة من وسائل الشر بأي وجه من الوجوه تكون محرمة، فالحديث مع النساء -مثلاً- فيما لا داعي إليه محرم؛ لأنه طريق سيوصل إلى الحرام، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحديث مع النساء، ويحمل نهيه على ما لا داعي إليه، أما إذا كان هناك داع فإنه يصح الحديث، كما حصل منه عليه الصلاة والسلام. وهكذا أشياء كثيرة جداً لم تحرم لذاتها، وإنما لأنها طريق مفض إلى الحرام، وهذه القاعدة يجهلها كثير من الناس ولا يعرفها، ولهذا قد يتعجب من بعض آراء وأفكار ومناهج بعض المصلحين وبعض الدعاة في بعض التصرفات والأقوال والأعمال.

باب ما جاء في الرياء

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ما جاء في الرياء. وقول الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [الكهف:110]]. وعن أبي هريرة مرفوعاً: قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيبي تركته وشركه)، رواه مسلم. وهذا دليل صريح وواضح على أن العمل الذي يكون فيه الرياء باطلاً؛ لأنه تعالى قال: (تركته وشركه)، فلو رأى تركه ورياءه. قال المؤلف رحمه الله تعالى:

[عن أبي سعيد مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل) رواه أحمد.] بقي من أنواع الشرك الأصغر باب عقده المصنف خاص بالرياء، والرياء هو أصرح صورة من صور الشرك الأصغر؛ لأنه ورد في الحديث مصرحاً عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء)، وهذا صريح في اعتبار الرياء من الشرك الأصغر. والرياء هو أن يعمل الإنسان العمل لغير الله سبحانه وتعالى، فيزين الإنسان صلاته لنظر شخص من الأشخاص إليه، وهذا العمل من الشرك الأصغر، ويكون الرياء كفراً مخرجاً عن الملة بالكلية عندما يراعي بأصل إسلامه، فإذا جعل أصل إسلامه رياءً فإنه يكون حينئذ منافقاً، أما إذا كان أصل الإسلام لله عز وجل وهو مسلم لله سبحانه وتعالى، لكن حصل له الرياء في بعض أعماله فهذا شرك أصغر، قد يكون شركاً أكبر بحسب العمل الذي يقع فيه الرياء، فإذا أنشأ العمل من أجل الناس فهذا من الشرك الأصغر، وإذا قصد به الإنسان نفسه فإنه يكون تعبداً لغير الله، فلو أن إنساناً قام فدفعه إلى الصلاة رؤية شخص وكانت الصلاة لله فهذا شرك أصغر؛ لأنه لم يصرف عبادة من العبادات لغير الله عز وجل، لكن الصلاة باطلة كلها ولا يقبل منها شيء؛ لأن الدافع هو مدح فلان أو المراءاة لفلان، أما إذا بدأ الصلاة لله سبحانه وتعالى، ثم طرأ عليه الرياء، فإما أن يغلب عليه ويستحسنه ويرتاح له، وإما أن يدفعه عن نفسه، فإن دفعه عن نفسه وجاهد نفسه فإن صلاته صحيحة، وأما إذا استرسل معه واستمر معه فلا تخلو العبادة من نوعين: النوع الأول: أن تكون هذه العبادة مما لا يتجزأ، مثل الصلاة، فتكون باطلة. النوع الثاني: أن تكون العبادة مما يتجزأ، فما كان فيه مخلصاً فعمله صحيح، وما طرأ عليه الرياء فهو فاسد. وذلك مثل صلاة التراويح، فقد يصلي الإنسان ركعتين بإخلاص لله تعالى، ثم صلى ركعتين فيرائي فيهما، فتبطل الركعتان اللتان رآى فيهما، وأما الركعتان اللتان أخلص فيهما فهما مقبولتان، مع أن الجميع يُسمى صلاة التراويح. ومثل صلة الأرحام، فعندما يزور الإنسان أحد أقاربه مخلصاً لله عز وجل يكون عمله مقبولاً، فإن زار بعد ذلك مباشرة أحدهم وطرأ عليه الرياء وارتاح له واستمر معه فزيارته الثانية باطلة وغير مقبولة. فهذا هو المقصود بالعبادة التي تتجزأ والعبادة التي لا تتجزأ.

خطر إرادة الدنيا بالعمل الصالح

والباب الذي بعد ذلك من أنواع الشرك الأصغر هو إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، فبعضهم جعل إرادة الإنسان بعمله الدنيا هي الرياء نفسه، مثل الحسن البصري وغيره. وبعضهم فرق بينهما، والصحيح هو التفريق، وأصح نوع من أنواع التفريق هو القول: بأن إرادة الإنسان بعمله الدنيا عامة والرياء إرادة خاصة، وكل ذلك فعل لغير الله سبحانه وتعالى، لكن إرادة الدنيا عامة، فقد يريد الإنسان منفعة مالية، وقد يريد منفعةً دنيويةً، وقد يتعلق بشيء من الشهوات لا بالمدح والثناء، أما الرياء فمتعلق بالمدح والثناء، والأحكام التي سبقت في موضوع الرياء هي -أيضاً- منطبقة على إرادة الإنسان بعمله الدنيا، فتكون إرادة الإنسان بعمله الدنيا شركاً أكبر مخرجاً عن الملة إذا كان أصل الإسلام يريد الإنسان به الدنيا، ويكون حينئذ من جملة المنافقين، أما إذا كان أصل إسلامه يريد به وجه الله والدار الآخرة، وعمل بعض الأعمال لأجل الدنيا؛ فإنه يحكم عليه بحسب هذا العمل وبحسب درجة إرادة الدنيا فيه، كما سبق في الرياء، فإن كان بدأ بالعمل من أصله يريد به الدنيا فهو مردود، وكل الآيات والأحاديث التي جاءت في بطلان العمل إذا كان شركاً يستدل بها على بطلان إرادة الإنسان بعمله الدنيا، مثل قوله عز وجل: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَغْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [إبراهيم:18]، وقول الله عز وجل: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر:65]، والحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك)، وغيرها من النصوص التي تدل على بطلان الشرك، وهي -أيضاً- تدل على بطلان الرياء؛ لأنه من الشرك، وتدل على بطلان إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ لأنها من الشرك، فإذا كان أصل العمل مراداً به الدنيا فهو باطل، وإذا كان أصل العمل مراداً به وجه الله عز وجل، ثم طرأ عليه إرادة الدنيا فهو بحسب حال العامل، وإن دفع هذه الإرادة وجاهد نفسه فعبادته مقبولة، وإن لم يدفعها وغلبت عليه فإنه يحكم بالبطلان بحسب نوع العبادة، فإذا كانت تتجزأ فإنه يقبل منها العمل الخالص، وأما غير الخالص فلا يقبل، وإذا كانت لا تتجزأ فإنها لا تكون مقبولة، على نحو ما فصلناه في موضوع الرياء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا. وقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا تُؤَفِّ إِلَيْهِمْ أَغْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَشُونَ [هود:15]]. هذه الآية فيمن أراد الدنيا بأصل إسلامه، أو غلبت عليه إرادة الدنيا حتى أصبحت هي كل شيء بدل الدين، فهذا لا شك في أنه ليس بمسلم. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميعة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع). [هذا الحديث فيه كثير من الفوائد، ومما يتعلق بموضوعنا هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى من أراد الدنيا -ومثله من أراد المال- عبداً، فقال: تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وعبد الخميعة، وهذا بحسب درجة العبودية التي عنده على نحو ما سبق تفصيله، وقد قسم الناس في هذا الحديث إلى قسمين: قسم تعيس: وهو من أراد بعمله الدنيا. وقسم له الطوبى، و(طوبى) في الأحاديث الواردة قيل: إنها الجنة، وقيل: هي شجرة عظيمة في الجنة. فهذا ما يتعلق بالكلام في الشرك في الألوهية، وبعض أنواع الشرك الأصغر.

الأسئلة

حكم الغش

السؤال: هل الغش في البيع والاختبارات نوع من أنواع الشرك الأكبر، لحديث: (من غشنا فليس منا)؟ الجواب: الغش ليس شركاً أكبر؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم: (فليس منا) ليس قصده به أنه لا يكون مسلماً، وقد وردت أحاديث كثيرة فيها نفي الإيمان، مثل قوله: (لا يؤمن..) و(ليس منا..) ولكن لا يقصد بها التكفير، وإنما يقصد بها بيان تحريم هذا الأمر، ولهذا فإن الرجل الذي وجدته النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع الجيد من الطعام في الأعلى الذي أصابه البلل في الأسفل لم يستتبه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرتب عليه أحكام الكفر.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة، كتاب التوحيد \[2\] للشيخ: عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [3] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

لقد جاءت نصوص الوحيين بإرساء قواعد التوحيد وإبطال الشرك بأدلة متنوعة تفيد القطع ببطلان عبادة ما عبد من دون الله تعالى، وتأكيده لإبطال الشرك جاءت النصوص بمنع كل الأسباب والوسائل الموصلة إليه، كالغلو في الصالحين، وفي قبورهم، وكالتطير والتشاؤم، ونحو ذلك، في جملة من المسائل الخطيرة التي ينبغي للمسلم أن يكون على بينة فيها.

إثبات التوحيد وإبطال الشرك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد: فإن الشرك قد أبطله الله عز وجل في القرآن، وأثبت الله سبحانه وتعالى توحيد الألوهية بالطرق المقنعة التي تخاطب العقل وتخاطب فطرة الإنسان. ويمكن أن نحصر الأدلة التي جاءت لإثبات توحيد الألوهية وإبطال الشرك في نوعين: النوع الأول: أدلة جاءت بإثبات التوحيد بذكر استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة. والنوع الثاني: إثبات التوحيد عن طريق إبطال الشرك. فتوحيد الألوهية -وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة- بينه الله سبحانه وتعالى في القرآن بياناً كافياً وشافياً وواضحاً. وقد استدل بالأدلة العقلية على إثبات توحيد الألوهية وعلى إبطال الشرك، فإذا سئلت: ما هو الدليل على توحيد الألوهية وإفراد الله عز وجل بالعبادة؟ فإنه يمكنك أن تجعل الدليل على إفراد الله عز وجل بالعبادة وتوحيد الألوهية على نوعين: النوع الأول: إثبات التفرد باستحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة، فأنت تثبت في هذه الزاوية أن الله سبحانه وتعالى متفرد في كونه هو المستحق وحده للعبادة دون غيره، وقد استخدم في هذا النوع صور متعددة في إثبات هذا المطلب المهم من مطالب توحيد الألوهية. النوع الثاني: في إثبات توحيد الألوهية: إبطال الشرك، فإبطال الشرك يستلزم إثبات التوحيد ولا بد؛ لأنه إذا أبطل الله عز وجل معبودات المشركين مثل الأصنام أو الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة أو الجن أو غيرهم، إذا أبطل الله عز وجل عبادة هؤلاء؛ فإن هذا يدل بالتضمن على إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ لأنه هو وحده سبحانه وتعالى المستحق للعبادة. ولهذا سنذكر مجموعة من الأبواب التي ذكرها الشيخ في مجال إبطال شرك المشركين، فهو لم يتعرض -رحمه الله- بالتفصيل لإثبات إفراد الله عز وجل بالعبادة، أو لإثبات إفراد استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة، لم يتعرض لهذه القضية بالتفصيل، لكنه تعرض لقضية بالغة الأهمية، وهي إبطال الشرك، وإبطال الشرك يستلزم إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة. وسنلاحظ أن الأدلة التي ذكرها الشيخ مما جاء في القرآن أدلة تخاطب العقل، وهذا يدل على أن القرآن مليء بالأدلة العقلية. وهذه قضية مهمة جداً ينبغي أن نتنبه لها وأن نعتنى بها، وهي أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل هو الذي خلق الإنسان، وهو العليم به، كما قال تعالى: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [المك:14] فهو سبحانه وتعالى أعلم بحال العبد وبطبيعة العبد وبما يصلح العبد، ولذا أورد الأدلة المقنعة على أن الله سبحانه وتعالى واحد في ربوبيته، وعلى أنه واحد في ألوهيته، وعلى أنه واحد في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى. وجاء بالأدلة العقلية -أيضاً- في القرآن على النبوات، وجاء بالأدلة العقلية على البعث والنشور. فالقرآن مليء بالأدلة العقلية التي تدل على هذه المحاور المهمة في العقائد، فالأدلة العقلية القرآنية الموجودة في القرآن تدل على التوحيد، وتدل على النبوات، وتدل على المعاد، وهذه الأمور الثلاثة هي أصول العقائد.

بطلان الشرك بالنبي ومن دونه

قال المؤلف رحمه الله: [وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: (شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). قوله: [وفي الصحيح] يعني: في صحيح البخاري. وقوله: [شج النبي صلى الله عليه وسلم] الشجة: هي الضربة في الوجه. [وكسرت رباعيته] هما السنان اللذان يكونان في بداية الفم بعد الثنايا. فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]) والأمر: الخلق والثواب والعقاب، فليس للنبي صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك. ووجه الدلالة من هذا الحديث في بطلان الشرك: أن النبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر العبودية والخلق والتدبير وشئون الإلهية شيء، فإذا كان عليه الصلاة والسلام هذا شأنه، وهو من أفضل الخلق فغيره من باب أولى. فهذا يدل على بطلان عبادة من عبد النبي صلى الله عليه وسلم، أو من عبد غيره وهو أنقص من النبي صلى الله عليه وسلم قدراً، وليس له من الأمر شيء من باب أولى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأُنزل الله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). وفي رواية: (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). ووجه الدلالة من هذا الحديث هو نفسه وجه الدلالة السابقة، وهي قوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر الألوهية والثواب والعقاب والتدبير والخلق والربوبية شيء، ولهذا سيأتي معنا من أسباب الشرك الغلو، وهو رفع الإنسان فوق مرتبته، أو محاولة إيصاله إلى درجة الألوهية، ولهذا يقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]، فليس له من شأن التدبير أي شيء. فإن قيل: أيهما سبب النزول الأول أو الثاني؟ فالجواب: أن بعض الآيات قد يرد في سبب نزولها سببان، بحيث تنزل الآية بعد السببين جميعاً، فتحكى على أنها سبب للأول وعلى أنها سبب للثاني، ولا مانع من ذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء:214] قال: يا معشر قريش -أو كلمة نحوها-! اشترُوا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً)]. هذا الحديث وجه الدلالة منه بيان إبطال الشرك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم غلا فيه بعض الناس حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية فعبدوه من دون الله. وهذا الحديث يدل على بطلان عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على بطلان عبادة غيره من باب أولى، حيث قال عليه الصلاة والسلام: يا فلان، يا عباس، ويا صفية، (يا فاطمة! سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) وهذا يدل على بطلان من يطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم الآن، وسيأتي معنا في شبهات القبوريين أنهم يقولون: نحن نطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة، فنحن نعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق، ولكن نطلب منه الشفاعة، ونحن نقول لهؤلاء: إن الشفاعة لا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشفاعة لله: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا [الزمر:44]. فهي ملك لله سبحانه وتعالى، ولا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ولا في فترة البرزخ، وإنما يعطيه الله عز وجل إياها يوم القيامة، بعد أن يأتي ويسجد بين يدي ربه، ويدعو الله عز وجل فيقال له: سل تعطه، واشفع تشفع. فإذا قال له الله عز وجل: (سل تعطه واشفع تشفع) فحينئذ يكون الله عز وجل قد أذن له فيها، أما الآن فلا يصح أن تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم، فهي داخلة في قوله: (لا أغني عنك من الله شيئاً) فهو لا يملك شيئاً، ولا ينفع أحداً ولا يضره، ولا يدخل أحداً الجنة، ولا يخرج أحداً من النار في هذه الدنيا وبعد موته، إلا الشفاعة التي يأذن الله عز وجل له فيها عندما يقول له: (ارفع رأسك، وسل تعطه واشفع تشفع). فهذا يدل على بطلان عمل الذين يشركون النبي صلى الله عليه وسلم مع الله في الدعاء مثلاً، أو في طلب الشفاعة، أو في الاستغاثة به، ويستدلون بأن له جاهاً عند الله سبحانه وتعالى.

بطلان الشرك بالملائكة ومن دونهم

قال المؤلف رحمه الله: [باب قول الله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبا:23]]. هذه الآية تدل -أيضاً- على بطلان الشرك، ووجه الدلالة منها قوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ [سبا:23] فالضمير هنا يرجع إلى الملائكة، ومن فسر الآية بأنها في عموم الناس فهو مخطئ؛ لأن الحديث الذي سيأتي بعده يدل على ذلك دالة قاطعة. فقوله تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ [سبا:23] يعني: إذا ذهب عنهم الفزع. قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ [سبا:23] يعني: عندما يتكلم الله سبحانه وتعالى -كما سيأتي معنا في الحديث- يفزع الملائكة ويخافون، فإذا ذهب عنهم الفزع قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبا:23]. ففي الآية إبطال عبادة الملائكة، فالملائكة مع فضلهم ومكانتهم ومع كونهم يعبدون الله عز وجل لا يفترون، ومع كونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مع هذه الخصائص جميعاً لا يستحقون العبادة؛ لأنهم يخافون، والإله لا يخاف. ونلاحظ منذ أن بدأنا في الباب الأول إبطال عبادة الأصنام، وإبطال عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، وإبطال عبادة الملائكة، وهكذا بهذه الطريقة. وإذا بطلت عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم فالأولياء من باب أولى ألا يعبدوا من دون الله، وإذا بطلت عبادة الملائكة فالجن وغيرهم من الناس من باب أولى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً

لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكُم قالوا الحقّ وهو الغليّ الكبير [سبأ:23] فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض -وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا؟! فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء). هذا الحديث يدل على نفس المعنى الذي سبق أن أشرنا إليه، فهو يدل على أن الملائكة لا تستحق العبادة؛ لأنها تخاف، كما ورد في هذا الحديث، والإله لا يخاف، وبناءً على هذا لا تستحق أن تعبد من دون الله سبحانه وتعالى. وقوله: (كأنه سلسلة على صفوان) الصفوان: هو الحجر الصلب، والسلسلة معروفة، والتشبيه في قوله: (كأنه) المقصود به أن الخوف الذي لحقهم من سماعهم لكلام الله كالخوف الذي سيلحقهم عندما يسمعون السلسلة تجر على صفوان لقوة الصوت الذي يخرج منها، وليس المقصود تشبيه صفة الكلام بصوت السلسلة التي تجر على الحجر. قال المؤلف رحمه الله: [وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة - أو قال: رعدة- شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات ضعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل). هذا الحديث فيه ضعف من ناحية إسناده، رواه ابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، وفي إسناده نعيم بن حماد وهو ضعيف، وكذلك في إسناده الوليد بن مسلم، وهو مدلس، لكن هذا الحديث يشهد له الحديث السابق الذي في صحيح البخاري، ومعناها واحد. ووجه الدلالة منهما في إبطال الشرك هو أن الملائكة مع فضلها لا تستحق العبادة من دون الله سبحانه وتعالى أو مع الله؛ لأنها موصوفة بالنقص في مقابل كمال الألوهية، فهي تخاف كما هو ظاهر في هذا الحديث والآية، والإله لا يمكن أن يخاف أبداً.

بطلان الشرك بالنبي ومن دونه

قال المؤلف رحمه الله: [وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: (شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). قوله: [وفي الصحيح] يعني: في صحيح البخاري. وقوله: [شج النبي صلى الله عليه وسلم] الشجة: هي الضربة في الوجه. [وكسرت رباعيته] هما السنان اللذان يكونان في بداية الفم بعد الثنايا. فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]) والأمر: الخلق والثواب والعقاب، فليس للنبي صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك. ووجه الدلالة من هذا الحديث في بطلان الشرك: أن النبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر العبودية والخلق والتدبير وشئون الإلهية شيء، فإذا كان عليه الصلاة والسلام هذا شأنه، وهو من أفضل الخلق فغيره من باب أولى. فهذا يدل على بطلان عبادة من عبد النبي صلى الله عليه وسلم، أو من عبد غيره وهو أنقص من النبي صلى الله عليه وسلم قدراً، وليس له من الأمر شيء من باب أولى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). وفي رواية: (يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]). ووجه الدلالة من هذا الحديث هو نفسه وجه الدلالة السابقة، وهي قوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]، فالنبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته عند ربه ليس له من أمر الألوهية والثواب والعقاب والتدبير والخلق والربوبية شيء، ولهذا سيأتي معنا من أسباب الشرك الغلو، وهو رفع الإنسان فوق مرتبته، أو محاولة إيصاله إلى درجة الألوهية، ولهذا يقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:128]، فليس له من شأن التدبير أي شيء. فإن قيل: أيهما سبب النزول الأول أو الثاني؟ فالجواب: أن بعض الآيات قد يرد في سبب نزولها سببان، بحيث تنزل الآية بعد السببين جميعاً، فتحكى على أنها سبب للأول وعلى أنها سبب للثاني، ولا مانع من ذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء:214]) قال: يا معشر قريش -أو كلمة نحوها-! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من

الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب ! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً). هذا الحديث وجه الدلالة منه ببيان إبطال الشرك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم غلا فيه بعض الناس حتى أوصلوه إلى درجة الألوهية فعبدوه من دون الله. وهذا الحديث يدل على بطلان عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على بطلان عبادة غيره من باب أولى، حيث قال عليه الصلاة والسلام: يا فلان، يا عباس، ويا صفية، (يا فاطمة! سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) وهذا يدل على بطلان من يطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم الآن، وسيأتي معنا في شبهات القبوريين أنهم يقولون: نحن نطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة، فنحن نعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق، ولكن نطلب منه الشفاعة، ونحن نقول لهؤلاء: إن الشفاعة لا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الشفاعة لله: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا [الزمر:44]. فهي ملك لله سبحانه وتعالى، ولا يملكها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ولا في فترة البرزخ، وإنما يعطيه الله عز وجل إياها يوم القيامة، بعد أن يأتي ويسجد بين يدي ربه، ويدعو الله عز وجل فيقال له: سل تعطه، واشفع تشفع. فإذا قال له الله عز وجل: (سل تعطه واشفع تشفع) فحينئذ يكون الله عز وجل قد أذن له فيها، أما الآن فلا يصح أن تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم، فهي داخلة في قوله: (لا أغني عنك من الله شيئاً) فهو لا يملك شيئاً، ولا ينفع أحداً ولا يضره، ولا يدخل أحداً الجنة، ولا يخرج أحداً من النار في هذه الدنيا وبعد موته، إلا الشفاعة التي يأذن الله عز وجل له فيها عندما يقول له: (ارفع رأسك، وسل تعطه واشفع تشفع). فهذا يدل على بطلان عمل الذين يشركون النبي صلى الله عليه وسلم مع الله في الدعاء مثلاً، أو في طلب الشفاعة، أو في الاستغاثة به، ويستدلون بأن له جاهاً عند الله سبحانه وتعالى.

باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت) ودلالته على بطلان الشرك

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ [القصص:56]. وفي الصحيح عن أبي المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعاد، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز وجل: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ [التوبة:113]. وأنزل الله في أبي طالب: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [القصص:56]]. هذا الباب عقده المصنف رحمه الله تعالى لبيان بطلان الشرك أيضاً، فهو يريد أن يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستحق العبادة مع الله سبحانه وتعالى، أو من دون الله، والسبب في كونه لا يستحق ذلك أنه مع شدة محبته لعمه وعظم منزلة عمه عنده لم يستطع هدايته، أي: هداية التوفيق والإلهام. فهداية تصريف القلوب بيد الله، وليست بيد الخلق، والذي يستطيعه النبي صلى الله عليه وسلم من الهداية هو هداية الدلالة والإرشاد، فالهداية تنقسم إلى قسمين: هداية الدلالة والإرشاد، وهذا أمر يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أثبتته الله عز وجل له بقوله: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى:52]. وأما النوع الثاني من الهداية فهو هداية التوفيق والإلهام، وهذه تتعلق بتصريف قلوب العباد، ولا يقدر عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي المعنية بقوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ [القصص:56]. فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك تصريف قلوب العباد، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع فضله ومكانته ومنزلته لم يستطع أن يهدي عمه أبا طالب مع حرصه على هدايته ومع اجتهاده في ذلك ومع محبته لهدايته، فإن هذا يدل على أنه ليس إلهاً ولا يستحق أن يعبد من دون الله سبحانه وتعالى، ولهذا فإن مقام الألوهية لا يصح أن يرفع إليه أي أحد مهما بلغ عندنا من المحبة والتعظيم والمكانة والمنزلة. وهنا مشكلة أحب أن أنبه عليها، وهي أن كثيراً من الناس عندما يسمع منا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستحق العبادة من دون الله، أو عندما يسمع أننا نقول -مثلاً-: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعبد من دون الله، أو لا يملك تصريف قلوب العباد، يظن أن في هذا قدحاً في النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا خطأ كبير جداً، فهذا ليس فيه قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، بل هذا إنزاله منزلة التي أنزله الله عز وجل إياها، بل إن رفعه إلى درجة الألوهية هو القدح في الرب سبحانه وتعالى الذي هو أعظم من النبي صلى الله عليه وسلم. وكثير من الناس لا يضبط موضوع محبة النبي ومحبة الولي ومحبة الصالح، فإذا رآك تقد جعل المخلوق -سواء أكان ولياً أم نبياً أم صالحاً- في مصاف الألوهية يظن أنك تبغضه، وهذا فهم فاسد ليس بصحيح، فلا يعني كون الإنسان لم يوصل النبي صلى الله عليه وسلم

إلى درجة الألوهية أنه مبغض أو أنه محتقر أو أنه منتقص للنبي صلى الله عليه وسلم، بل هذه أمور يشغب بها أهل البدع ويشغب بها القبوريون على أهل التوحيد، ويظنون أن ذلك مسوغ لعبادة الأولياء وعبادة الصالحين، أعاذنا الله وإياكم من الشرك. فهدف الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- عندما عقد هذا الباب هو بيان بطلان عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبد النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الناس اليوم، فكثير من الناس يستغيثون به ويطلبون منه مغفرة الذنوب وكشف الكرب، ولهذا يقول البوصيري: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمموهناك قصائد كثيرة جداً لكثير من شعراء الصوفية يستغيثون فيها به ويطلبون منه مغفرة الذنوب وكشف الكرب التي لا تطلب إلا من الله سبحانه وتعالى. فأراد الشيخ أن يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يملك هداية عمه أبي طالب، فكيف يعبد من دون الله؟! وهناك مسائل كثيرة تتعلق بشرح هذا الحديث، لكن ليست هي موضوعنا، وليست على شرطنا في شرحنا لهذا الكتاب.

الحكم على الكافر أنه في النار إذا مات على كفره

هنا مسألة، وهي: هل يجوز أن يحكم على الكافر إذا مات على الكفر بأنه في النار، كأن يقال: إن أبا طالب في النار؟ هذه المسألة مسألة عقدية، ولكنها ليست مرتبطة بتوحيد الألوهية بشكل مباشر، والصحيح أن الكافر إذا مات على الكفر وتيقن الإنسان موته على الكفر؛ فإنه يحكم له بأنه في النار، وعليه فإن أبا طالب في النار قطعاً، ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه في ضحاح من النار يغلي منه دماغه، أعاذنا الله وإياكم من النار.

أسباب موصلة إلى الشرك

هناك جملة أسباب توصل إلى الشرك، ومنها: أولاً: الغلو. ثانياً: التطير. ثالثاً: التصوير. فهذه كلها من الأسباب التي توصل إلى الشرك، ولكن هل يعني كونها أسباباً أنها ليست شركاً؟ والجواب: لا، بل هي من الشرك الأصغر، ولهذا سبق أن ضبطنا الشرك الأصغر بأن منه الأسباب والوسائل والطرق والذرائع الموصلة إلى الشرك الأكبر، فكل سبب موصل إلى الشرك الأكبر يعتبر من الشرك الأصغر، إلا أنه في بعض الأحيان قد يتطور الحال بالأمر الذي هو شرك أصغر فيصبح شركاً أكبر، مثل الغلو. الغلو كلمة عامة، وكثير من حالات الغلو قد يُصنف في الشرك الأصغر، مثل التعظيم غير المنضبط، أو الصلاة في أماكن قبور الصالحين، فهذا من الغلو، لكنه من الشرك الأصغر. وأحياناً قد يوصل الغلو إلى الشرك الأكبر، فقد يدفعه الغلو إلى صرف العبادة للمخلوق من دون الله، فيكون شركاً أكبر مع أنه من الغلو أيضاً.

التطير والتشاؤم

التطير معناه: التشاؤم بالطير، وقد كانت هذه عادة من عادات الجاهليين؛ أي: أنهم يتشاءمون بالطير، فإذا أراد أحدهم السفر فاعترض له نوع من أنواع الطير فإنه يرجع من سفره؛ لأنه يظن أن وجود هذا الطير في هذا الطريق علامة على أنه سيقع له في سفره مكروه، وقد يتفاءلون بالطير. وموضوع التطير يدخل في موضوع التشاؤم بما ليس عليه دليل، فهو من الوهم، ليس له حقيقة، وسمي تطيراً لأن أكثر أنواع التشاؤم عند العرب كان بالطيور، وبعض الناس اليوم قد يتشاءم بالرؤى والأحلام، وبعض الناس قد يتشاءم بالأشخاص، كأن يرى -مثلاً- رجلاً أعور، ففي الحال تنقلب الدنيا في وجهه، ويحصل له تعب نفسي، وربما يترك العمل، وربما يترتب على ذلك أمور كبيرة. وبعض الناس يتشاءم بالألوان، فيتشاءم من اللون الأسود، أو يتشاءم من اللون الأحمر، وبعض النساء تتشاءم من بعض الصفات أو الأشكال. إذاً: التشاؤم كله وسيلة من وسائل الشرك؛ لأن التشاؤم ضعف في التوكل واعتماد على الوهم، وقد يتطور إلى اتخاذ أسباب ليست بأسباب حقيقة شرعاً ولا قدراً، فتشبه حالته حالة أصحاب التمايم والرقى الشريكية والتبرك ونحو ذلك. فالمتشاؤم عندما يتشاءم من اللون الأحمر قد يسبب له هذا ردة فعل في بعض التصرفات، فبعض النساء تدخل مدرسة من المدارس فتري -مثلاً- في الفصل لوناً معيناً فإذا بها تترك المدرسة وتنتقل إلى مدرسة أخرى مثلاً. وأنواع التشاؤم لا يمكن حصرها، فكلّ عنده خرافة معينة، فقد يتشاءم بشكل معين أو بوضع معين. وأساسها - كما قلت - هو ضعف التوكل وعدم الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وعدم وضع الأسباب الشرعية والطبيعية في أماكنها الصحيحة، واتخاذ سبب وهو ليس بسبب، مثل أصحاب الخيوط، حيث يضع أحدهم خيطاً في يده ويظن أن هذا الخيط سيرفع عنه الحمى التي يشعر بها، وهذا يدل على ضعف التوكل عنده؛ لأنه اعتمد على هذا الخيط، مثل التشاؤم الذي يرد الإنسان عن مطلوبه بسبب من الأسباب، وهذا السبب ليس سبباً حقيقياً، بل هو سبب وهمي. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في التطير. وقول الله تعالى: أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الأعراف: 131]]. وجه الدلالة من هذه الآية هو أن الله

عز وجل ذم التطير، فأخبر أن طائرهم عند الله، أن أسبابهم وحوادثهم عند الله ليست معلقة بالطيور ولا معلقة بالأشجار ولا معلقة بالألوان، فهذا فيه ذم للتطير الذي كان عند الجاهليين. ووجه الدلالة الثاني أن التطير خصلة من خصال الكافرين، ولهذا كانوا يتشاءمون بالطيور وغيرها. قال المؤلف رحمه الله: [وقوله تعالى: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس:19]]. هذه الآية قبلها قوله تعالى: قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ [يس:18] يعني أن المشركين يقولون للأنبياء: إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ [يس:18] أي: تشاءمنا بكم، وأصبحتم شؤماً علينا لئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يس:18]. فقال لهم الرسل: طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس:19] يعني: تشاءمكم لكم وفيكم، وأنتم سبب الشؤم؛ لأن سبب الشؤم هو المعصية، أما وجود الرسل فليس شؤماً، فالمعصية شؤم حقيقي دل عليه القرآن والسنة. قال تعالى: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ [يس:19] يعني: أبسبب أننا ذكرناكم تطيرتم بالوهم؟! بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ [يس:19]. فهذا يدل على ذم التطير أولاً، ويدل على أنه من خصال المشركين ثانياً، ويدل على ضعف التوكل عندهم ثالثاً. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)]. قوله: (لا عدوى) هي انتقال المرض من جسد إلى جسد آخر، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا عدوى) يعني: العدوى لا تنتقل بنفسها وبذاتها، وإنما إذا أراد الله عز وجل انتقالها نقلها، وإن لم يرد فإنها بيد الله سبحانه وتعالى، وقد كانوا يرون أن العدوى نتيجة حتمية لانتقال المرض من شخص إلى شخص آخر، ولهذا فإن العرب في الجاهلية قد يربتون القتال في بعض الأحيان على مثل هذه الأمور، فقد يكون لأحدهم إبل كثيرة جداً، وآخر عنده بعير أجرب مثلاً، فيقاتلونه إذا جاء ببعيره الأجرب فأرسله في الجمال، وهذا لظنهم أن انتقال العدوى حتمي ولا بد. ولا يصح أن يورد المريض على الصحيح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قال: (لا يردن ممرض على مصح) فلا يصح أن يرد المريض على المصح؛ لأنه ربما يتحقق السبب، لكن الاعتقاد الفاسد الذي كان عند الجاهليين هو أن هذا السبب منتقل حتماً، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا عدوى) يعني: لا عدوى تنتقل بنفسها (ولا طيرة) يعني: ولا تشاؤم؛ لأن الطير لم يعلق الشرع به شؤماً ولا فالاً أيضاً، فالطير له ارتباط بالأسباب. قال: (ولا هامة) والهامة قيل فيها: إنها نوع من أنواع الطيور كانوا يتشاءمون به، وقيل: إن الإنسان إذا مات فإنه يقف على قبره طير، فهم كانوا يتشاءمون به، فيرون أنه سبب من أسباب الهلاك والموت. قال: (ولا صفر)، وهو الشهر المعروف، كانوا يتشاءمون به؛ لأن المشركين كانوا يعترفون بالأشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، فكانوا إذا أرادوا القتال في محرم عظموا القتال فيه وقالوا: كيف نقاتل في محرم؟! ولا سيما أنه بعد الحج، وقد كانوا يجتمعون في الحج، فربما تكون هناك ثارات، فيكون الاجتماع فرصة مناسبة للانتقام من أصحاب الثأر مثلاً، فيؤخرون التحريم إلى صفر، ويتقاتلون في محرم، وهذا هو الذي قال الله عز وجل عنه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ [التوبة:37] يعني: تأخير الأشهر الحرم والحكم والتشريع بغير ما أنزل الله زيادة في الكفر. فكانوا يتشاءمون بصفر لهذا الغرض؛ لأنه كان شهر قتال، وربما انتظر بعضهم إلى أن ينتهي شهر المحرم، فيقتتلون في صفر، فيكون صفر شؤماً على كثير من القبائل حيث يحصل فيه والهرج والمرج. وزاد مسلم: (ولا نوء ولا غول) والنوء: منازل القمر. والغول: نوع من أنواع الجن كانوا يعظمونه، وجمعه غيلان، حتى إنهم كانوا يرون أن ثلاثة ليس لها وجود ولا حقيقة، وهي الغول والعنقاء والخل الوفي، فيقولون: ثلاثة ليس لها وجود: العنقاء، ويقولون: إنه طائر كبير جداً، ويصفون من حجمه ما لا يتخيله الإنسان. والغول: الجن، أو يعتبرونه شيئاً مهولاً مخيفاً بأشكال مزعجة. والخل الوفي: الصديق الذي يكون وفياً لك؛ لأن كثيراً من الناس يسعى لمصالحه ولا يتعامل بالوفاء في الخلعة.

حسن الفأل

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: يا رسول الله! وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة)]. الفأل عكس الطيرة، فالطيرة تشاؤم، والفأل أمر يدعو الإنسان إلى الإقبال على العمل. فكان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الفأل بدلاً من الطيرة، فإذا كان ولا بد فليكن الفأل، لأنه يدفعك إلى العمل، وهو الكلمة الطيبة. فلو جاء اثنان عند مريض فبدأ بدأ يقول: فلان أصابه هذا المرض وهلك، وفلان من الناس أصابه هذا المرض وعمي، ويأتي بالأمور التي تخيف المريض، وقال كلمة طيبة حسنة خففت عن هذا المريض، فأيهما أفضل؟ لا شك في أن الكلمة الطيبة هي الأفضل، وهي التي تدفع الإنسان لبناء حياته بناء صحيحاً؛ لأن طبيعة النفس الاتجاه نحو التشاؤم أو التفاؤل. فالتفاؤل أعظم من التشاؤم وأحسن منه وأفضل منه ولا بد، والتشاؤم يكون بحسب الحال، فقد يكون الشيء شؤماً قدراً أو شؤماً شرعاً، والتفاؤل يبني النفس، والتشاؤم يحطم النفس، ومثال ذلك السرطان، فهو -في الغالب- مرض مميت، وهذا

بقدر الله، وهو سبب من الأسباب، فهناك أمراض مميتة، وهناك أمراض غير مميتة، وأمراض يرجى برؤها، وأمراض لا يرجى برؤها. فلو أن إنساناً جاء عند مريض بالسرطان، وبدأ يعد له أسماء الذين ماتوا من السرطان، فإن هذا يدفعه إلى الانزعاج، وهو من التشاؤم، والتشاؤم بالسرطان معناه الانزعاج منه، وهو أمر ليس فيه إثم؛ لأن السرطان مرض مميت، وهو سبب من الأسباب القدرية، وليس وهماً، وليس مثل الطير، فالطير ليس له أي أثر، فعندما يأتي طير فيقف هنا أو يقف هناك، فإن بعضهم إذا رآه وقف عن يمينه أخذ منه أنه سينجح في عمله، وإذا رآه وقف عن يساره قال: سأخفق في عملي، وهذا خطأ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (يعجبني الفأل)؛ لأن الفأل يدفع الإنسان إلى العمل. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولأبي داود بسند صحيح عن عروة بن عامر قال: (ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)]. إذاً: يمكن أن نقسم التشاؤم إلى قسمين: تشاؤم بأسباب طبيعية حقيقية. وتشاؤم بأوهام. فالذي يوصل إلى الشرك -أو هو سبب في الشرك- هو التشاؤم بالأوهام، وأما التشاؤم بالأسباب الطبيعية فهو موضوع هذا الحديث، يقول عقبة بن عامر: (ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم) يعني: التشاؤم بأسباب حقيقية فقال: (أحسنها الفأل) يعني أن التفاؤل وبناء الإنسان لنفسه أفضل من التشاؤم. (ولا ترد مسلماً) يعني: لا ترد مسلماً عن أمر من الأمور التي يريد ما كان هذا التطير. قال: (فإذا رأى أحدكم ما يكره) يعني: إذا رأى أمراً يكرهه فليقل هذا الدعاء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن مسعود مرفوعاً: (الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل)]. قوله: (الطيرة شرك) هذا نص صريح على أن التطير بالأوهام من الشرك، ويكون شركاً أكبر إذا ظن أن هذه الأوهام السببية حسب تصويره تفعل بذاتها، فهذا شرك أكبر. وإذا اعتقد أنها لا تفعل بذاتها، بل هي من الأسباب وليست في حقيقتها أسباباً شرعية ولا قدرية؛ فهذا من الشرك الأصغر. وإذا وقع في نفس الإنسان شيء من التطير فإنه ينبغي أن يجتهد في تربية نفسه على التوكل. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولأحمد من حديث ابن عمرو: (ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)]. هذا ذكر آخر في التعوذ من الطيرة، وهي من الكفارات التي تكون للطيرة إذا خالطت النفس، وخطرت في البال. ولهذا يقسم العلماء التشاؤم والطيرة إلى قسمين: قسم يرد الإنسان عن عمله، فهذا لا شك في أنه من الشرك. وقسم هو حديث نفسي فقط، فهذا يذهب الله عز وجل بالتوكل وبالأذكار.

التطير والتشاؤم

التطير معناه: التشاؤم بالطير، وقد كانت هذه عادة من عادات الجاهليين؛ أي: أنهم يتشاءمون بالطير، فإذا أراد أحدهم السفر فاعترض له نوع من أنواع الطير فإنه يرجع من سفره؛ لأنه يظن أن وجود هذا الطير في هذا الطريق علامة على أنه سيقع له في سفره مكروه، وقد يتفاءلون بالطير. وموضوع التطير يدخل في موضوع التشاؤم بما ليس عليه دليل، فهو من الوهم، ليس له حقيقة، وسمي تطيراً لأن أكثر أنواع التشاؤم عند العرب كان بالطيور، وبعض الناس اليوم قد يتشاءم بالرؤى والأحلام، وبعض الناس قد يتشاءم بالأشخاص، كأن يرى -مثلاً- رجلاً أعور، ففي الحال تنقلب الدنيا في وجهه، ويحصل له تعب نفسي، وربما يترك العمل، وربما يترتب على ذلك أمور كبيرة. وبعض الناس يتشاءم بالألوان، فيتشاءم من اللون الأسود، أو يتشاءم من اللون الأحمر، وبعض النساء يتشاءم من بعض الصفات أو الأشكال. إذاً: التشاؤم كله وسيلة من وسائل الشرك؛ لأن التشاؤم ضعف في التوكل واعتماد على الوهم، وقد يتطور إلى اتخاذ أسباب ليست بأسباب حقيقة شرعاً ولا قدراً، فتشبه حالته حالة أصحاب التمام والرقى الشركية والتبرك ونحو ذلك. فالمتشائم عندما يتشاءم من اللون الأحمر قد يسبب له هذا ردة فعل في بعض التصرفات، فبعض النساء تدخل مدرسة من المدارس فتري -مثلاً- في الفصل لوناً معيناً فإذا بها تترك المدرسة وتنتقل إلى مدرسة أخرى مثلاً. وأنواع التشاؤم لا يمكن حصرها، فكلّ عنده خرافة معينة، فقد يتشاءم بشكل معين أو بوضع معين. وأساسها - كما قلت - هو ضعف التوكل وعدم الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وعدم وضع الأسباب الشرعية والطبيعية في أماكنها الصحيحة، واتخاذ سبب وهو ليس بسبب، مثل أصحاب الخيوط، حيث يضع أحدهم خيطاً في يده ويظن أن هذا الخيط سيرفع عنه الحمى التي يشعر بها، وهذا يدل على ضعف التوكل عنده؛ لأنه اعتمد على هذا الخيط، مثل التشاؤم الذي يرد الإنسان عن مطلوبه بسبب من الأسباب، وهذا السبب ليس سبباً حقيقياً، بل هو سبب وهمي. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في التطير. وقول الله تعالى: أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الأعراف: 131]]. وجه الدلالة من هذه الآية هو أن الله

عز وجل ذم التطير، فأخبر أن طائرهم عند الله، أن أسبابهم وحوادثهم عند الله ليست معلقة بالطيور ولا معلقة بالأشجار ولا معلقة بالألوان، فهذا فيه ذم للتطير الذي كان عند الجاهليين. ووجه الدلالة الثاني أن التطير خصلة من خصال الكافرين، ولهذا كانوا يتشاءمون بالطيور وغيرها. قال المؤلف رحمه الله: [وقوله تعالى: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس:19]]. هذه الآية قبلها قوله تعالى: قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ [يس:18] يعني أن المشركين يقولون للأنبياء: إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ [يس:18] أي: تشاءمنا بكم، وأصبحتم شؤماً علينا لئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يس:18]. فقال لهم الرسل: طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس:19] يعني: تشاءمكم لكم وفيكم، وأنتم سبب الشؤم؛ لأن سبب الشؤم هو المعصية، أما وجود الرسل فليس شؤماً، فالمعصية شؤم حقيقي دل عليه القرآن والسنة. قال تعالى: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ [يس:19] يعني: أبسبب أننا ذكرناكم تطيرتم بالوهم؟! بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ [يس:19]. فهذا يدل على ذم التطير أولاً، ويدل على أنه من خصال المشركين ثانياً، ويدل على ضعف التوكل عندهم ثالثاً. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)]. قوله: (لا عدوى) هي انتقال المرض من جسد إلى جسد آخر، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا عدوى) يعني: العدوى لا تنتقل بنفسها وبذاتها، وإنما إذا أراد الله عز وجل انتقالها نقلها، وإن لم يرد فإنها بيد الله سبحانه وتعالى، وقد كانوا يرون أن العدوى نتيجة حتمية لانتقال المرض من شخص إلى شخص آخر، ولهذا فإن العرب في الجاهلية قد يربتون القتال في بعض الأحيان على مثل هذه الأمور، فقد يكون لأحدهم إبل كثيرة جداً، وآخر عنده بعير أجرب مثلاً، فيقاتلونه إذا جاء ببعيره الأجرب فأرسله في الجمال، وهذا لظنهم أن انتقال العدوى حتمي ولا بد. ولا يصح أن يورد المريض على الصحيح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قال: (لا يردن ممرض على مصح) فلا يصح أن يرد المريض على المصح؛ لأنه ربما يتحقق السبب، لكن الاعتقاد الفاسد الذي كان عند الجاهليين هو أن هذا السبب منتقل حتماً، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا عدوى) يعني: لا عدوى تنتقل بنفسها (ولا طيرة) يعني: ولا تشاؤم؛ لأن الطير لم يعلق الشرع به شؤماً ولا فالاً أيضاً، فالطير له ارتباط بالأسباب. قال: (ولا هامة) والهامة قيل فيها: إنها نوع من أنواع الطيور كانوا يتشاءمون به، وقيل: إن الإنسان إذا مات فإنه يقف على قبره طير، فهم كانوا يتشاءمون به، فيرون أنه سبب من أسباب الهلاك والموت. قال: (ولا صفر)، وهو الشهر المعروف، كانوا يتشاءمون به؛ لأن المشركين كانوا يعترفون بالأشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، فكانوا إذا أرادوا القتال في محرم عظموا القتال فيه وقالوا: كيف نقاتل في محرم؟! ولا سيما أنه بعد الحج، وقد كانوا يجتمعون في الحج، فربما تكون هناك ثارات، فيكون الاجتماع فرصة مناسبة للانتقام من أصحاب الثأر مثلاً، فيؤخرون التحريم إلى صفر، ويتقاتلون في محرم، وهذا هو الذي قال الله عز وجل عنه: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ [التوبة:37] يعني: تأخير الأشهر الحرم والحكم والتشريع بغير ما أنزل الله زيادة في الكفر. فكانوا يتشاءمون بصفر لهذا الغرض؛ لأنه كان شهر قتال، وربما انتظر بعضهم إلى أن ينتهي شهر المحرم، فيقتتلون في صفر، فيكون صفر شؤماً على كثير من القبائل حيث يحصل فيه والهرج والمرج. وزاد مسلم: (ولا نوء ولا غول) والنوء: منازل القمر. والغول: نوع من أنواع الجن كانوا يعظمونه، وجمعه غيلان، حتى إنهم كانوا يرون أن ثلاثة ليس لها وجود ولا حقيقة، وهي الغول والعنقاء والخل الوفي، فيقولون: ثلاثة ليس لها وجود: العنقاء، ويقولون: إنه طائر كبير جداً، ويصفون من حجمه ما لا يتخيله الإنسان. والغول: الجن، أو يعتبرونه شيئاً مهولاً مخيفاً بأشكال مزعجة. والخل الوفي: الصديق الذي يكون وفياً لك؛ لأن كثيراً من الناس يسعى لمصالحه ولا يتعامل بالوفاء في الخلّة.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة . كتاب التوحيد \[3\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [4] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

هناك ضابط للأعمال الشركية وهو: أن كل عبادة لله إذا صرفت لغيره تكون شركاً أكبر، وما كان منها وسيلة إلى الشرك فهو شرك أصغر، ومن جملة الأعمال الشركية الذبح والنذر لغير الله، والاستعاذة والاستغاثة بغير الله، والسحر والعيافة والطيرة والكهانة والتنجيم ونحو ذلك.

الأعمال الشركية في توحيد الألوهية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا هو الدرس الرابع من دروس شرح كتاب التوحيد، وموضوع هذا الدرس هو الأعمال الشركية في توحيد الإلهية، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الكتاب مجموعة كبيرة من الأبواب تتعلق بالأعمال الشركية في توحيد الإلهية، وسنقسم هذا الموضوع إلى قسمين، فالقسم الأول سنأخذه في هذا الدرس إن شاء الله تعالى، والقسم الثاني سنأخذه في الدرس التالي بإذن الله تعالى.

الذبح لغير الله تعالى

أول عمل من الأعمال الشركية بدأ بذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو الذبح لغير الله تعالى. والذبح المراد به: ذبح بهيمة الأنعام على وجه التقرب؛ إذ الذبح نوعان: النوع الأول: ذبح التقرب والتعبد. والنوع الثاني: الذبح العادي الذي يفعله الإنسان من أجل الاستفادة من المذبوح بالأكل، ويدخل في ذلك إكرام الضيف مثلاً، فأما النوع الأول -وهو الذبح الذي يكون للتعبد- فهو نوعان: النوع الأول: الذبح لله سبحانه وتعالى، فهذا توحيد يثاب عليه الإنسان، مثل ذبح الأضاحي والهدايا، وذبح العقائق أيضاً، والذبح الذي يكون في التقرب المطلق إلى الله سبحانه وتعالى بإطعام الفقراء ونحو ذلك فكل هذا من التوحيد، والإنسان مأجور على هذا العمل. النوع الثاني: الذبح لغير الله سبحانه وتعالى، مثل الذبح للجن، أو الذبح للقبور وأصحاب القبور، أو الذبح لمعظم أين كان هذا المعظم على سبيل التقرب، فهذا من الشرك المخرج عن دائرة الإسلام. وأما النوع الأول من أنواع الذبح -وهو الذبح العادي الذي لا يريد به صاحبه التقرب- فلا بأس به، كأن يذبح الإنسان لياكل أو يطعم غيره من الضيوف والأهل ونحوهم، فهذا لا يدخل في الشرك؛ لأنه لم يفعل على سبيل التقرب. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في الذبح لغير الله. وقول الله تعالى: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 162-163]]. ووجه الدلالة من هذه الآية على موضوع الذبح لغير الله عز وجل هو أن الله عز وجل قال: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [الأنعام: 162] والنسك المراد به هنا الذبح وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ [الأنعام: 162-163]، وهذا دليل صريح واضح على أن الذبح قد يقصد به التعبد، فإذا قصد به التعبد فلا يجوز أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ومن فعله لغير الله سبحانه وتعالى فقد وقع في الشرك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ [الكوثر: 2]]. والصلاة هنا فسرت بأن المراد بها صلاة عيد الأضحى، ومن فسر بها بذلك أخذها من دلالة الاقتران بين الصلاة والنحر في موضع واحد، وقال: هذه لا تكون إلا في عيد الأضحى فقط، ولم تقتصر الصلاة بالذبح في أي موضع آخر، ولعل الصواب أن الصلاة هنا عامة، والنحر -أيضاً- عام، وليس خاصاً بالأضاحي، فيكون المراد بالآية الصلاة بكل أنواعها وأصنافها، والنحر بكل أنواعه وأصنافه، ومنها الأضاحي، ومنها الهدايا، ومنها العقائق مثلاً، ومنها ما يذبحه الإنسان تقرباً لوجه الله سبحانه وتعالى، وجاء المؤلف بها ليبين أن النحر عبادة؛ لأن الله أمر به فقال: وَانْحَرْ [الكوثر: 2]، ولا يمكن أن يأمر الله سبحانه وتعالى بشيء إلا وهو عبادة، والقاعدة العامة أن أي عبادة من العبادات إذا ثبت أنها عبادة فصرفها لله عز وجل توحيد، وصرفها لغيره سبحانه وتعالى شرك وتنديد. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [عن علي قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) رواه مسلم]. هذا الحديث فيه بيان أن من ذبح لغير الله سبحانه وتعالى فهو ملعون؛ لأنه قال: (لعن الله من ذبح لغير الله)، ولا يكفي أن نستدل على كفر

الذابح لغير الله باللحن؛ لأنه قد يكون اللحن واقعاً على بعض المعاصي، فأكل الربا، والشهادة عليه، والرشوة اقترنت في غير هذا الحديث باللحن، وهي مجموعة من الكبائر وليست مكفرات، ولكن يمكن أن نأخذ من هذا الحديث النهي عن الذبح لغير الله سبحانه وتعالى، وأنه من كبائر الذنوب، ونأخذ أنه يكون كفراً أكبر إذا قررنا أنه عبادة. ومن النصوص الدالة على أن العبادة إذا صرفت لغير الله عز وجل تكون شركاً، قوله تعالى: **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء:36]**. وقوله: (لعن الله من لعن والديه)، هنا الوالدان يشمل الأبوين القريبين من الإنسان ويشمل الأجداد أيضاً، وقوله: (لعن الله من آوى محدثاً) يشمل نوعين: من فعل المصيبة التي تستوجب الحد، والمحدث المبتدع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، فقوله: (لعن الله من آوى محدثاً) يعني: ستر وأعان وساعد، صاحب بدعة أو صاحب جريرة عظيمة، يطلب بها شرعاً، مثل من قتل شخصاً وهرب، أو زنى وهرب، أو نحو ذلك، فمن آواه يصدق عليه هذا الحديث، كما أن من آوى مبتدعاً يصدق عليه هذا الحديث، وهذا يدل على خطر إيواء المبتدعة والسكوت عنهم، ويدل على أن الرد على المبتدعة والوقوف ضد أهل البدع والضلال -ولو كانوا من المسلمين- منهج نبوي صحيح؛ لأنه هنا ذم من عطف على مبتدع وتعاون معه وستره وامتنع من الرد عليه. والتعامل مع المبتدعة على أنواع، فالمبتدع إذا كانت بدعته لا تخرجه عن دائرة الإسلام، فإننا نتعامل معه على أنه مسلم، ونعطيه حقوق الإسلام، إلا إذا كان هجرانه يجعله يترك البدعة فإننا حينئذٍ نهجره ليطرك بدعته، لكن إذا كان الهجر لا ينفع معه فإننا لا نهجره، ولكن ليس معنى هذا أن نسكت عن البدعة ولا نرد عليها، فلا بد من الاتزان في هذه القضية، فكثير من الناس لا يحسن التعامل مع أهل البدع، فبعض الناس يتعامل مع أهل البدع كأنهم كفار، فلا يترحم عليهم، ويقول: لا نصلى عليهم، ولا نأكل ذبائحهم ونحو ذلك من الأمور التي لا تكون إلا للكافر، مع أن المبتدعة ليسوا كفاراً، فبعضهم قد يكون كافراً إذا كانت بدعته مغلفة مثل بدعة ابن عربي الذي يقول: إن الوجود كله هو الله، وكل كلام في الوجود كلامه، سواء علينا نثره ونظامه، فهذه بدعة كفرية تخرج الإنسان عن دائرة الإسلام. ومثل بدع الباطنية، ومثل بدع الشيعة، ومثل بدع القبوريين، كل هذه تخرج الإنسان عن دائرة الإسلام، فلا يتعامل الإنسان مع من كان كذلك ومن تحققت فيه هذه الأوصاف كما يتعامل مع المسلم. وأما الأشعرية وبعض الصوفية الذين ليس عندهم غلو يخرجهم عن دائرة الإسلام فإنهم مسلمون، ولكنهم من المحدثين، فكيف نتعامل معهم؟ والجواب إذا كان في الهجر مصلحة، بحيث يرتدعون عن بدعتهم، أو يرتدع الناس عن تلقي بدعتهم فإنهم يهجرون، وإذا لم يكن في الهجر مصلحة فلا بد من الرد عليهم وبيان الباطل الذي هم عليه، وإذا لقي أحدهم إنسان فإنه عليه ويعامله معاملة المسلمين؛ لأنه مسلم أصلاً، ومادام أنه مسلم فإنه يصلى على جنازته، وإذا دعاك إلى بيته تجيبه؛ لأنه مسلم، إلا إذا كان في الامتناع عن الإجابة مصلحة، كأن يرتدع عن بدعته أو يرتدع غيره عن البدعة، أما إذا لم تكن هناك مصلحة فلا يصلح للإنسان أن يقول: لا أعطيه حقوق المسلمين. وقد أطلت في هذه المسألة مع أنها داخلة بشكل أساسي في الموضوع؛ لأنها قضية مهمة، وكثير من الإخوة وطلاب العلم لا يحسنون التعامل معهم، فإما أن يتعامل مع المبتدعة كما يتعامل الإنسان مع الكفار، وإما أن يتساهل مع أهل البدع، ويقول: لقد فرقتم المسلمين وجعلتموهم أحزاباً وشيعاً، مع أنهم هم الذين افترقوا، ونحن نبين الحق في المسألة، ونرد على المبطل فيها، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الأمة ستفترق، وهذا الافتراق سنة كونية. فلا بد من الاتزان في التعامل مع هذه المسألة، فلا نتعامل مع المبتدع بدعة غير مكفرة كما نتعامل مع الكفار، وفي نفس الوقت لا يعني هذا أن نتساهل معه، فينشر بدعته ونتعامل مع الموضوع بشكل عادي، بل لا بد من بيان الحق والرد على البدعة، وأما الهجر فإنه عندما يكون هناك مصلحة، كهجره وطرده مثلاً أو ترك الصلاة عليه ونحو ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة على بعض أصحاب المعاصي، ومنهم ذلك الذي غل الشملة، حتى يحذر الآخرون، وأمر أصحابه بأن يصلوا عليه؛ لأنه مسلم وليس بكافر، فلا بد من حسن التعامل مع هذه القضايا، فلا غلو ولا شطط، ولا تساهل ولا تضییع لقضايا أصول الدين، بل ينبغي للإنسان أن يكون عاقلاً في تصرفاته. وأذكر أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله سئل عن بعض من وقع في بعض البدع وشنع عليه أقوام كثيرون، سئل هل نترحم عليه؟ هل نقول: رحمه الله؟ فسألهم سؤالاً في المقابل فقال: هل هو مسلم أو كافر؟ فقالوا له: هو مسلم، فقال: إذاً: يترحم عليه مادام أنه مسلم. وهذا كلام منطقي، وهذه صفة أهل العلم الذين يضعون الأمور في نصابها، فالنبي صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام يقول: (حق المسلم على المسلم) وكلمة المسلم تشمل السني وتشمل المبتدع صاحب البدعة غير المكفرة، وتشمل العاصي والفاسق. وأما استعمال الهجر مطلقاً فغير صحيح، بل إنني أقول في أهل المعاصي من غير أهل البدع في هذا العصر خاصة لا أرى أن من المصلحة أن يهجروا، بل أرى أن من المصلحة أن يزاروا، وأن

يجلس معهم، وأن يُدعوا إلى الله عز وجل، وأن يتعامل الإنسان معهم تعاملًا حسنًا؛ لأننا في حاجة إلى دعوتهم، فلو أنني هجرت كل أصحاب المعاصي، وأنت كذلك، وفلان كذلك، فإننا سنصبح مجموعة واحدة منفصلة عن بقية المجتمع لا علاقة لنا به، وستتعامل مع المجتمع الإسلامي بشكل على خلاف منهاج النبوة. إذًا: لا بد من أن يعرف الإنسان كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع القضايا والأمور، وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع المخالفين، ويضبط هذا بضابط النبوة، فلا غلو ولا تساهل. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزونه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة). رواه أحمد]. هذا الحديث رواه الإمام أحمد في الزهد، وهو حديث ضعيف؛ لأن طارق بن شهاب لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فهو حديث مرسل، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف، ولكن الصحيح أنه موقوف على سلمان الفارسي رضي الله عنه. والأصل العام في الذبح لغير الله عز وجل أنه شرك إذا قصد به التقرب، وربما يرد إشكال في قصة هذا الرجل، إذ كيف اعتبر مشركًا مع أنه مكره؟ والجواب أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون مكرهًا؛ لأنه لو كان مكرهًا لعذر، فهو رجل ليس بمكره، بل انشرح صدره بالكفر، فلهذا كفره النبي صلى الله عليه وسلم، وأما من قرب وهو مكره فهو معذور؛ لأن الله عز وجل عذر المكره، فقال: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ [النحل: 106]، والدليل على أن هذا الرجل قرب وهو منشرح لهذا العمل لفظ ودلالة كلمة (قرب)، فإن التقريب يدل على شيء معنوي في الإنسان، فقتل الذبيحة أو الذبابة التي قربها في الظاهر لا يدل على التعبد، إلا عندما يكون له جانب في الباطل، وهو إرادة العبادة، فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فقرب) يعني أنه رضي بالشرك، وهذا على القول بصحة هذا الحديث.

الشرك في النذر

النوع الثاني من أنواع الشرك: الشرك في النذر، والنذر: هو إلزام المكلف نفسه شيئًا لم يكن لازمًا عليه بأصل الشرع، ومعنى ذلك أن المكلف يلزم نفسه بعبادة بلفظ فيقول: علي لله كذا، أو: علي أن أعمل كذا، كأن يقول: علي أن أصلي عشر ركعات، أو نحو ذلك، فهذا العمل ليس واجبًا عليه أصلاً، ولكن أوجبه هو على نفسه، فهذا هو المقصود بالنذر. والنذر نوعان: نذر يكون لله سبحانه وتعالى، ونذر يكون لغير الله سبحانه وتعالى. فأما النذر الذي يكون لله سبحانه وتعالى فهو نوعان: نذر طاعة، ونذر معصية، كأن ينذر إنسان أن يفعل شيئًا لله عز وجل، وهذا نذر طاعة، مثل: الصلاة والصيام والحج، ونحو ذلك من أعمال الإسلام، أو ينذر أن يعمل معصية، فإذا نذر طاعة فإنه يجب عليه أن يوفي بنذره، وإذا نذر معصية فلا يجوز أن يوفي بهذه المعصية. وهناك نوع ثالث في النذر لله، وهو إذا نذر بأمر مباح، فلا يلزمه أن يوفي بنذر المباح، والدليل على ذلك قصة أبي إسرائيل عندما نذر أن يقف في الشمس، يظن ذلك عبادة لله عز وجل، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وأمره بترك هذا العمل. النوع الثاني من أنواع النذر: النذر لغير الله عز وجل، مثل: النذر للقبور أو النذر للصالحين أو نحو ذلك، سواء أكانت هذه النذور أموالاً، أم كانت هذه النذور عبادات يقوم بها، أم كانت هذه النذور قرايين، أم غير ذلك، فإذا نذر لغير الله فقد كفر بالله سبحانه وتعالى؛ لأن الإيفاء بالنذر عبادة، فقد مدح الله سبحانه وتعالى الصالحين بإيفائهم بالنذر، وهذا المدح يدل على أن هذا العمل عبادة، وإلا فلن يمدحوا به، والقاعدة العامة: أن العبادة إذا صرفت لله عز وجل فهي توحيد، وإذا صرفت لغيره فهي شرك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك النذر لغير الله. وقول الله تعالى: يُؤْفُونَ بِالَّذِي وَعَدُوا أَنْ يَفْعَلُوا وَكَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيزًا [الإنسان: 7]]. وقوله: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ [البقرة: 270]]. في الآية الأولى مدح للصالحين من أهل الجنة بأنهم يوفون بالنذر، وهذا يدل على أن النذر عبادة، وإلا فلن يمدحوا. والآية الثانية: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ [البقرة: 270] فيها -أيضاً- هو مدح لمن ينذر نذراً فوفى به، وهذا أيضاً يدل على أن الوفاء بالنذر عبادة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)]. قوله: (فليطعه) أمر، والأمر يدل على الوجوب، فهو من العبادة، فهذا دليل صحيح صريح على أن الإيفاء بالنذر من العبادة، فلا يجوز صرفه لغير الله سبحانه وتعالى.

الشرك في الاستعانة

النوع الثالث من أنواع الشرك: الشرك في الاستعانة، والاستعانة: هي الالتجاء والاعتصام من شيء يخافه الإنسان، فحين تقول: (أعوذ بكذا)، فالمعنى: ألتجئ إليه وأعتصم به من شيء يخاف أياً كان هذا الشيء، وأياً كان هذا المستعان به، فهذه الاستعانة عبادة، وسيأتي الدليل على كونها عبادة. والاستعانة بالله عز وجل توحيد، والاستعانة بغير الله نوعان: النوع الأول: الاستعانة بغير الله فيما يقدر عليه، أي: الالتجاء إلى مخلوق يقدر على أن يعينك من هذا الشيء. والنوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق من شيء لا يقدر عليه. فمثال الاستعانة من شيء يقدر عليه: أن تكون -مثلاً- في مسبح وتكاد أن تغرق، فلتجأ إلى سباح بين يديك، فإنه قادر على إخراجك من هذا المسبح بإذن الله تعالى، فهو سبب في هذا، فهذا ليس من الشرك، والاستعانة تكون شركاً في حالتين: الحالة الأولى: أن يكون العمل المطلوب مما يقدر عليه الإنسان أو المخلوق في العادة، لكن يطلب من ميت أو غائب لا يقدر عليه طبعاً؛ لأن الميت لا يعمل شيئاً، والغائب لا يدري. ومثال ذلك: إذا كنت في البحر، وجاءت الأمواج واقتربت الغرق وخفت، فاستعذت بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميت، أو استعذت بفلان من الحكام الذين لديهم طائرات، ولديهم قدرات، ولكنه ميت أو غائب ليس قريباً منك، فهذا من الشرك؛ لأنه لا يقدر على إنقاذك مما أنت فيه، ولو كان الإنقاذ من الغرق في العادة مما يقدر عليه الإنسان، فإذا كانت عنده إمكانيات وقدرات فهو يقدر على إنقاذ الإنسان من الغرق، فأنت لو رأيت إنساناً سيفرق وأنت سباح ماهر قادر على إنقاذه كان إنقاذه من مقدورك وليس أمراً مستحيلاً. ومثال الاستعانة بغير الله عز وجل مما لا يقدر عليه المخلوق في العادة: أن تلتجئ بمخلوق في أن يعتقك من نار جهنم، فلو التجأت بمخلوق في أن يعتقك من نار جهنم فقد وقعت في الشرك؛ لأنه لا يقدر على أن يعيد الإنسان من نار جهنم إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يستطيع هذا الأمر نبي مقرب ولا ملك مرسل ولا ولي له فضل. إذاً: نخلص من هذا إلى أن الاستعانة في الأصل تنقسم إلى قسمين: استعانة بالله، واستعانة بغير الله. فالاستعانة بالله عز وجل عبادة، وهي توحيد، وقد تكون من الواجب، وقد تكون من السنة، بحسب الحكم المتعلق بها. والاستعانة بغير الله يمكن أن نقسمها إلى قسمين: استعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهذا ليس من الشرك، إلا إذا تعلق القلب بالمخلوق، فهذا من الشرك الأصغر، مثل تعلق القلب بالطبيب -مثلاً- أو بأي إنسان قادر على شيء. أما النوع الثاني فهو الاستعانة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه، وينقسم إلى قسمين: الأول: ما يقدر عليه الإنسان في العادة، ولكنه يطلب من ميت أو غائب. والثاني: ما لا يقدر عليه الإنسان أصلاً في العادة. فهذان النوعان كلاهما من جنس واحد، وفعلهما عليه شرك أكبر؛ لأنه صرف للعبادة -وهي الاستعانة- لغير الله سبحانه وتعالى.

من الشرك بالله الاستعانة بغير الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك الاستعانة بغير الله. وقول الله تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [الجن:6]]. قوله تعالى: يَعُوذُونَ، يعني: يستعبدون بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [الجن:6] الرهق: هو الخوف والهلم، فذم الله سبحانه وتعالى من استعان بمخلوق كيفما كان هذا المخلوق، إنسياً أو جنياً أو من الملائكة أو نحو ذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك). رواه مسلم]. وهذا يدل على أن الاستعانة من العبادة، وإلا فلن يرتب عليها هذا الفضل، والعبادة هي كل ما أمر الله عز وجل به أو عظمه أو بين فضله، سواء أكان على وجه الإيجاب مثل الصلاة وأقيم الصلاة طَرْفِي النَّهَارِ [هود:114] إلى آخر الآية، ومثل إيتاء الزكاة وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ [البقرة:43]، أم على وجه الاستحباب، مثل المستحبات كلها الممدوحة عند الله عز وجل، فهذه كلها داخلة في العبادة. فمن هذا الحديث يتقرر أن الاستعانة عبادة، والقاعدة هي أن العبادة إذا صرفت لله فهي توحيد، وإذا صرفت لغير الله فهي شرك وتنديد. وقوله: (أعوذ بكلمات الله) المقصود بها: كلام الله عز وجل الذي هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، ومنها القرآن، فالقرآن من كلمات الله، وكلمات الله كثيرة لا تعد ولا تحصى، والقرآن جزء من كلمات الله عز وجل الكثيرة، وكلمات الله عز وجل صفة من صفاته، وهذا يدل على جواز الاستعانة بصفات الله سبحانه وتعالى.

الشرك في الاستغاثة

النوع الرابع من أنواع الشرك: شرك الاستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى. والاستغاثة: هي طلب الغوث وإزالة الشدة، وهي قسمان:

استغاثه بالله سبحانه وتعالى، وهذا توحيد. واستغاثه بغير الله عز وجل، وهي قسمان: الأول: طلب الغوث من المخلوق فيما يقدر عليه، فهذا لا بأس به، كأن جاءك عدو يريد الفتك بك وكان عندك شخص آخر فاستغثت به من أجل أن يحميك من هذا العدو وهو قادر على ذلك وليس ميتاً أو غائباً، فهذا جائز ولا شيء فيه. والثاني: الاستغاثه بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، سواء أكان المخلوق قادراً على جنسها ولكنه ميت أو غائب، أو كان المخلوق غير قادر على جنسها. فمثال الاستغاثه بغير الله فيما يقدر عليه المخلوق في العادة، ولكنه غائب أو ميت: أن تكون في بحر فتفرق، والأمواج من فوقك، فتستغيث -مثلاً- بنبي أو بولي، أو تستغيث بغائب ليس عندك، فهذا شرك بالله عز وجل. ومثال الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل مما لا يقع جنسه تحت مقدور الناس: مغفرة الذنوب، كأن تستغيث بغير الله في مغفرة ذنوبك أو إدخالك الجنة أو شفائك من المرض مثلاً أو رزقك، أو نحو ذلك، فكل ذلك من الشرك المخرج عن دائرة الإسلام. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوه غيره. وقول الله تعالى: وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَفْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يونس: 106-107]]. الاستغاثه جزء من العبادة وجزء من الدعاء، والدعاء هو الطلب، والطلب ينقسم إلى قسمين: طلب في حالة الشدة والكرب، وهذا يسمى استغاثه. وطلب في غير حال الشدة والكرب، فهذا دعاء، والاستغاثه نوع من أنواع الدعاء. ويقسم العلماء الدعاء إلى قسمين: دعاء المسأله، ودعاء العبادة. فأما دعاء العبادة فهو كل العبادات الشرعية، فكل العبادات الشرعية تسمى دعاء، فالجهاد دعاء، والصلاة دعاء، والحج دعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء، والدعوة إلى الله دعاء، والصدقة دعاء؛ لأن فعل العبد لها يتضمن طلب الأجر من الله سبحانه وتعالى، والدعاء هو الطلب. والنوع الثاني من أنواع الدعاء: دعاء المسأله، وهذا هو المشهور عند الناس، وهو الذي يكون باللسان، فالفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسأله أن دعاء العبادة قد يكون بالقلب، مثل التوكل على الله، ومحبة الله سبحانه وتعالى، وقد يكون بالجوارح، مثل: الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يكون باللسان. وأما دعاء المسأله فلا يكون إلا باللسان، كأن تقول: اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي، ونحو ذلك من الدعاء الذي يكون باللسان، فدعا المسأله إذا صرف لله عز وجل فإنه توحيد خالص، وأما إذا صرف لغير الله فهو شرك أكبر، كما لو قال: يا ولي الله! اعمل لي كذا وكذا. فكل دعاء المسأله من الشرك، إلا إذا جاء به على صيغة الطلب مما يقدر عليه الإنسان، كأن يقول: يا أخي الكريم! ناولني كذا. فهذا طلب وليس دعاءً بالمعنى الاصطلاحي، وإنما هو دعاء بالمعنى اللغوي، وأما دعاء العبادة فإنه إذا صرف لغير الله يكون شركاً، فمن صلى لغير الله، ومن جاهد لغير الله، ومن ذبح لغير الله، ومن نذر لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر. وقوله: وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَفْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يونس: 106-107] وجه الدلالة من هذه الآية على كون الاستغاثه بغير الله من الشرك هو اعتبار من دعا من دون الله من الظالمين، حيث قال تعالى: وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ [يونس: 106] يعني: إن دعوت غير الله فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ [يونس: 106]، والظلم المراد به في هذه الآية: الشرك، كما قال الله سبحانه وتعالى: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: 13]، والذي يدل على أن المقصود بهذا النوع من أنواع الدعاء والطلب هو ما لا يقدر عليه إلا الله قوله بعد ذلك: وَإِنْ يَفْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ [يونس: 107]، وهذا يدل على أن هذا من خصائص الله سبحانه وتعالى، وليس هو الطلب العادي الذي يكون بين الناس في الأمور الدنيوية. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ [العنكبوت: 17]]. الابتغاء: هو السؤال بتضرع وخضوع، وهذا هو حقيقة الدعاء بالمعنى الشرعي، والرزق لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على عدة أمور: الأمر الأول: أن الدعاء والسؤال من العبادة، والدليل على ذلك الأمر بقوله تعالى: فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ [العنكبوت: 17]. والأمر الثاني: أن المقصود بالسؤال لا يقدر عليه إلا الله؛ لأنه ذكر: الرزق، والرزق لا يقدر عليه إلا الله. وقوله: وَاعْبُدُوهُ [العنكبوت: 17]، يدل على أن هذا الدعاء من أنواع العبادة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [الأحقاف: 5]]. ووجه الدلالة من الآية قوله تعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ [الأحقاف: 5]، فبين أن من يدعو من دون الله ليس هناك أحد أضل منه، وهذا لا يمكن أن يوصف به الفاسق والعاصي، بل المقصود به الكافر الخارج عن دائرة الإسلام. والذي يدل على أن المقصود به دعاء المسأله قوله: (من لا يستجيب له)، وهذا يدل على وجود دعاء يتطلب الاستجابة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ [النمل: 62]]. هذا استفهام إنكاري يتضمن النفي، ومعناه: أنه لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن الدعاء من العبادة. قال

المؤلف رحمه الله تعالى: [وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)]. هذا الحديث في إسناده ضعف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وهو عبد الله بن لهيعة، كان قاضياً بمصر، احترقت كتبه فأصبح يملئ من حفظه، فاختلط فنسي فترك حديثه، إلا عن مجموعة ممن روى عنهم قبل احتراق كتبه. ومعنى الحديث على قول من يرى أنه صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا اللفظ، وهو: (قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم) مع أن القائل لا يقصد الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله، وإنما يقصد المجيء إليه ليؤدبه وبيكته، فأراد تعليمهم، كما سبق في باب حماية المصطفى صلى الله عليه الصلاة والسلام لجناح التوحيد عندما قالوا: (أنت سيدنا...) فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم).

من الشرك بالله الاستعاذة بغير الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله. وقول الله تعالى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [الجن:6]]. قوله تعالى: يَعُوذُونَ، يعني: يستعينون بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [الجن:6] الرهق: هو الخوف والهلم، فذم الله سبحانه وتعالى من استعاذ بمخلوق كيفما كان هذا المخلوق، إنسياً أو جنياً أو من الملائكة أو نحو ذلك. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك). رواه مسلم]. وهذا يدل على أن الاستعاذة من العبادة، وإلا فلن يرتب عليها هذا الفضل، والعبادة هي كل ما أمر الله عز وجل به أو عظمه أو بين فضله، سواء أكان على وجه الإيجاب مثل الصلاة وأقيم الصلوة طرقي النهار [هود:114] إلى آخر الآية، ومثل إيتاء الزكاة وأقيموا الصلوة وآثروا الزكاة [البقرة:43]، أم على وجه الاستحباب، مثل المستحبات كلها الممدوحة عند الله عز وجل، فهذه كلها داخلة في العبادة. فمن هذا الحديث يتقرر أن الاستعاذة عبادة، والقاعدة هي أن العبادة إذا صرفت لله فهي توحيد، وإذا صرفت لغير الله فهي شرك وتنديد. وقوله: (أعوذ بكلمات الله) المقصود بها: كلام الله عز وجل الذي هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى، ومنها القرآن، فالقرآن من كلمات الله، وكلمات الله كثيرة لا تعد ولا تحصى، والقرآن جزء من كلمات الله عز وجل الكثيرة، وكلمات الله عز وجل صفة من صفاته، وهذا يدل على جواز الاستعاذة بصفات الله سبحانه وتعالى.

السحر والكهانة والتنجيم

النوع الخامس من أنواع الشرك: السحر، والكهانة، والتنجيم، وهذه الأمور عقد المؤلف لها ستة أبواب، وموضوع هذه الثلاثة موضوع واحد متقارب، ولذا جعلناها في موضوع واحد.

ذكر ما جاء في التنجيم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: ما جاء في التنجيم. قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به]. التنجيم: هو الاستدلال بالنجوم، فينقسم إلى قسمين: القسم الأول: الاستفادة من النجوم في جعلها علامات يهتدى بها، كما حقق ذلك قتادة رحمه الله؛ لأن الله عز وجل يقول: وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ [النحل:16]، فإذا كان استخدامها لهذا الغرض فلا إشكال فيه، فهو جائز، ولهذا استقرأ قتادة رحمه الله فائدة النجوم في القرآن فوجدها أنها ثلاثة أنواع: الأمر الأول: أنها زينة للسماء. والأمر الثاني: أنها رجوم للشياطين. والأمر الثالث: أنها علامات، أما من جعلها لغير ذلك فقد أخطأ، وهو النوع الثاني. النوع الثاني: هو اعتقاد أن هذه النجوم لها تأثير في الحوادث الأرضية، فيرتبون عليها اعتقادات، ويعتقدون أن هذه النجوم تؤثر في الحوادث الأرضية، وذلك لا يجوز واعتقاد أن النجوم تؤثر في الكائنات الأرضية نوعان: النوع الأول: أن يعتقد أنها تؤثر بذاتها، بحيث يعتقد أن النجم له قدرة في التأثير على الأرض، سواء بالتأثير على الإنسان أو بالنبات أو بالتأثير على الحيوان، فمن اعتقد أن النجوم لها تأثير على الإنسان والحيوان والنبات من الكائنات الأرضية فهذا شرك أكبر. النوع الثاني: أن يعتقد أن هذه النجوم هي أسباب خلقها الله عز وجل للتأثير في الأرض، فهذا ليس شركاً أكبر، بل هو شرك أصغر؛ لأنه اعتقد شيئاً من الأشياء سبباً وهو ليس بسبب، وأصل اعتقاد أن النجوم لها تأثير في الكائنات الأرضية مأخوذ عن الفلاسفة والصائبة القدماء قوم إبراهيم عليه السلام، فقد كانوا يعتقدون أن هذه الكواكب ليست أجراماً، وإنما هي عبارة عن نور وروح، ولهذا

يعتقدون أن الكون منبثق عنها، فيعتقدون أن القمر نتج عنه هذا العالم الذي نعيش فيه الآن، هذا هو أصل معتقدهم، ولهذا دعاهم إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وبين لهم أن النجوم لا تؤثر، كما تقرأ في القرآن فَتَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ [الصافات:88]، فأراد أن يبين لهم بطلان تأثير هذه النجوم على الكائنات الأرضية، ولهذا ذكر الله تعالى مناظرة إبراهيم عليه السلام معهم في سورة الأنعام عندما رأى شمساً بازغة فقال: هَذَا رَبِّي [الأنعام:76]، وعندما رأى القمر بازغاً قال: قَالَ هَذَا رَبِّي فهذه المناظرة تدل على إبطال عبادتهم للكواكب واعتقاد أنها أسباب مؤثرة في الكائنات الأرضية. وأما من اعتقد أنها علامات للفصول ومواسم الزراعة، ولم يعتقد أن النجم بنفسه مؤثر فلا شيء عليه، كاعتقاد حدوث وقت الصباح عند طلوع الشمس، فإذا جاءت في الوسط جاء وقت الظهر، فإذا ذهبت جهة الغرب جاء وقت العصر مثلاً، فإذا كان ذلك من باب التوقيت فلا شيء في ذلك، وإنما يكون من الشرك إذا اعتقد التأثير، سواء أكان تأثيراً مطلقاً -وهو من الشرك الأكبر- أم كان تأثيراً سببياً تحت إرادة الله عز وجل وقدرته، فهذا شرك أصغر وليس بشرك أكبر. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال البخاري في صحيحه: قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر). رواه أحمد وابن حبان في صحيحه]. قوله: [وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق] المقصود بذلك: تعلم منازل القمر للحساب، ومعرفة الفصول ومعرفة الأوقات، وإنما كره من كره ذلك من أهل العلم لكيلا يكون فيه تشبه بأصحاب النجوم الذين يستدلون بها على التأثير، كالحوادث الأرضية، وليس المقصود اعتقاد التأثير في الحوادث الأرضية، فهذا لا شك في أنه لا يجوز، وأنه من التصديق بالسحر الذي بين النبي صلى الله عليه وسلم أن فاعله أحد الذين لا يدخلون الجنة، وهذا الحديث فيه ضعف، ولكن أصل موضوع التنجيم يدل عليه أحاديث كثيرة. وبهذا نكون قد انتهينا من هذا القسم الأول من أقسام الأعمال الشركية.

اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة . كتاب التوحيد [4] للشيخ : عبد الرحيم السلمي

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [5] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

شرك المحبة، وشرك الخوف، والتوكل على غير الله تعالى، وطاعة غير الله في تحليل الحرام أو تحريم الحلال، والتحاكم إلى الطواغيت، وطلب السقيا من غير الله تعالى كالأنواء ونحو ذلك .. كل هذه الأمور أعمال شركية تقدر في توحيد الألوهية الذي هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتجر صاحبها إلى مصاف المشركين بالله تعالى.

شرك المحبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فإن من الأعمال الشركية المتعلقة بتوحيد الألوهية شرك المحبة، والمحبة: هي تعلق القلب بالمحبوب.

أنواع المحاب المطلوبة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال: وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين)، أخرجاه]. هذا الحديث في محبة النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، نفي الإيمان فيه هو بحسب نوع المحبة التي صرفت لغير الله كما سبق أن بينا، وهذا يدل على أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الإيمان مثل محبة الله سبحانه وتعالى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال: ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)، وفي رواية: (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى) إلى آخره]. وجه الدلالة من هذا الحديث هو من ناحية أن المحبة يتفاوت فيها الناس، فبعضهم يبلغ درجات عالية من المحبة، وبعضهم أقل من ذلك. ولهذا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن صنف معين من الناس وجد حلاوة الإيمان، وهو من أهل الإيمان، فالذي لم يجد حلاوة الإيمان لا يعني ذلك أنه ليس بمسلم، بل المراد درجة المحبة العالية، ولهذا سبق أن بينت أن توحيد الألوهية مثل الإيمان يزيد وينقص، وكل الأعمال المتعلقة بتوحيد الألوهية يزيد فيها الإيمان وينقص أيضاً، فالمحبة تزيد وتنقص، والرجاء يزيد وينقص، والخوف يزيد وينقص، والتوكل يزيد وينقص، والناس ليسوا على مرتبة واحدة، إلا أن هناك حداً أساسياً لازماً لكل هذه الأنواع جميعاً، فإيمان القلب له حد أساسي، وأعمال الجوارح لها حد أساسي، وعناصر أعمال القلب لا بد من أن يوجد فيها حد أدنى إذا لم يوجد في الإنسان يزول الإيمان بزواله، ولهذا جاء في حديث الجهنميين أن الله عز وجل يقول: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان). يعني: من كان في قلبه مثقال الذرة مع وهو مخلوط من المحبة والخوف والرجاء، والأمور الأساسية من أعمال القلب، مثل: تصديق القلب، ويقين القلب، والإخلاص، والانقياد، ونحو ذلك. فإيمان هؤلاء نقص حتى صار مثقال ذرة، وليس مثقال الذرة من المحبة فقط، بل من المحبة والخوف والرجاء، ومثقال الذرة لا يكفي وحده في النجاة عند الله عز وجل، بل لا بد من أن يكون معه عمل صالح في الظاهر، وهو نطق الشهادة والصلاة، واجتناب الكفر الأكبر المخرج من الملة، واجتناب نواقض الإيمان، وهذا الاجتناب هو في حد ذاته عمل. وقد يقول بعض الناس: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يعلموا خيراً قط). فنقول: ليس المقصود أنه ليس عندهم عمل، وإنما المقصود أنهم من قلة عملهم يكادون أن يصلوا إلى درجة أنهم لم يعلموا خيراً قط، والذي دعانا إلى أن نفسر هذا التفسير هو أحاديث الجهنميين التي تبين أنهم قالوا: لا إله إلا الله) وهذا عمل خير زيادة على مثقال الذرة، وتبين كذلك وتدل أيضاً أنهم من أهل الصلاة، ولهذا يعرفون بمواطن السجود، وتبين أنهم امتنعوا عن نواقض الإيمان العملية، وهذا خير أيضاً، فلا بد من أن نجمع بين هذه الأحاديث لنفسر هذا التفسير، وهذا سائر في لغة العرب، فالرجل إذا غضب على ولده يقول له: أنت لست بولدي، ولا يقصد بذلك أنه لم يأت من صلبه، وأنه يتهم هذا الولد بأنه ولد بغي -مثلاً- والعياذ بالله، وإنما المقصود أنه ليس بالولد الطائع، فالولد من طبيعته أنه يطيع والده، فالمقصود: لست من ولدي الذي يطيع والده. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله؛ وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولم يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجزي على

أهله شيئاً. رواه ابن جرير]. هذا الأثر عن ابن عباس يضعفه بعض العلماء، وعلى وهو متعلق بمسألة لوازم المحبة، فالمحبة في الله، والبغض في الله، والموالة في الله، والمعادة في الله، كلها من لوازم المحبة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن عباس في قوله تعالى: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ] [البقرة: 166] قال: المودة]. يعني: تقطعت الأسباب بالكافرين فلم تنفعهم محبتهم لآلهتهم التي كانوا يتخذونها سبباً للنجاة عند الله سبحانه وتعالى.

الخوف وأقسامه

الخوف عمل من الأعمال القلبية، وهو من أصول الإيمان الواجبة، وهو -أيضاً- من توحيد الألوهية. والخوف ينقسم إلى قسمين: خوف طبيعي، وخوف تأله أو تعبد. فالخوف الطبيعي: هو الخوف العادي الذي يحصل للإنسان عندما يداهم عدو، أو حيوان مفترس، أو نحو ذلك مما يخاف الناس في العادة منه. والضابط في هذا الخوف الطبيعي هو: انعقاد أسباب الخوف، فالخوف الذي تنعقد أسبابه هو الخوف الطبيعي، وذلك كمن رأى أسداً حقيقياً فخاف، فهذا خوف طبيعي. أو جاءه عدو بسلاح ووضعه في رأسه، فخاف واضطرب قلبه، فهذا خوف طبيعي يحصل للإنسان، ويخاف الإنسان من الموت، فالإنسان لا يذم ولا يلام على الخوف الذي تنعقد أسبابه. وأما الخوف غير الطبيعي فيمكن أن نقسمه إلى أقسام: القسم الأول: الجبن، والضابط فيه هو أنه خوف وهمي لم تنعقد أسبابه، والجبن مذموم، ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الجبن، فإنه خوف من غير مبرر، إذ يرى ما ليس بسبب سبباً، وهو ليس بسبب في الحقيقة، فهذا مذموم. القسم الثاني: خوف العبادة، وخوف العبادة ليس خوفاً طبيعياً عادياً، وإنما هو خوف تعلق بالمعبود. وخوف العبادة إما أن يكون خوفاً من الله، فهذا توحيد، ومعناه التعلق بالله عز وجل، والخوف من وعيده وعقابه. وإما أن يكون خوفاً من غير الله سبحانه وتعالى، وهو قسمان: القسم الأول: خوف شرطي يصل إلى درجة الشرك الأكبر، وهذا هو الخوف الذي يسميه بعض العلماء خوف السر، ومعنى خوف السر: أن يخاف من غير الله عز وجل خوف تعظيم؛ لأنه يشعر أن هذا المخوف معظم، ويملك أموراً غيبية جعلت هذا الخائف يخاف منه، وهذا نوع من أنواع خوف السر، ومن أنواع خوف السر ألا يخفي على من يخافه شيئاً في قلبه؛ لتصوره أن له تأثيراً عليه، بحيث يجعل باطنه كظاهرة عند من يخاف منه. وهذا النوع من أنواع الخوف شرك أكبر، ويمكن أن يمثل له بخوف المشركين من آلهتهم، فقد كانوا يتصورون أن هذه الآلهة لديها قدرات، كما يقع عند بعض من يشركون في الربوبية، حيث يعتقدون أن هؤلاء لهم قدرات مستقلة يؤثرون في العالم بسببها، فهذا شرك في الربوبية، أو يتصورون أن آلهتهم عندها قدرات بإعطاء الله لها، ولهذا يخافون منها، كما هو شرك المشركين في العالم، فهم يتصورون أن هؤلاء الصالحين الذين يعبدون الله عز وجل مستجاب من الله كلامهم مباشرة، فإذا طلبوا منه أن ينفع فلاناً فسينفعه، وإذا طلبوا منه أن يضره فسيضره، مثل الوكيل أو صاحب المنزلة عند الملك العظيم، فصاحب المنزلة عند الملك العظيم يقول له الملك: اسجن هذا فيسجنه، وأعط هذا مكافأة فيعطيه المكافأة. ومثل خوف بعض الناس من الأولياء، إذ يقول: لا تتكلم، فالولي إذا تكلمت سيضرك، ومثل خوفهم من السحرة، والكهان، والجن، ونحو ذلك، لا سيما إذا كان الخوف من معظم يعتقد صاحبه أن له قدرات تأثيرية في الناس، فهذا لا شك في أنه من الشرك الأكبر المخرج عن دائرة الإسلام والعياذ بالله. فهذا هو الضابط في الخوف الذي يكون خوفاً شريكاً.

القسم الثاني: الخوف من غير الله عز وجل الذي لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، وهو الخوف الذي لا يكون من معظم، بحيث يكون خوفاً سرياً يظهر معه ما في باطنه على جوارحه، وإنما هو خوف من البطش أو الأذى، سواء أكان حقيقياً أم وهمياً، وفي الغالب يكون وهمياً، فيمتنع الخائف بسببه من الواجبات الشرعية. ومثاله في إنسان قيل له: لماذا لا تشتغل بالدعوة؟ فقال: إذا اشتغلت بالدعوة فسيحصل لي ضرر، ثم يبدأ يعدد بعض الأضرار التي حصلت لبعض الدعاة في التاريخ الإسلامي، فيقول: فلان من الدعاة دعا فقتل، وفلان من الدعاة دعا فسجن، وفلان من الدعاة دعا وجلد ظهره، وفلان من الدعاة دعا فنفى من الأرض، ويبدأ يعدد الأذى والمتاعب التي حصلت لبعض الدعاة، فيمتنع عن الدعوة إلى الله عز وجل خوفاً من هذه الأمور التي يتصورها، فهذا من كبائر الذنوب والعياذ بالله، وهو من الشرك الأصغر، ولكن لا يصل إلى الشرك الأكبر؛ لأنه لم يصرف عبادة محضة لغير الله، إذ ليس عنده خوف سر، وإنما عنده خوف وهمي ممن يخاف منه جعله يمتنع عن الصالحات، وهكذا الأمر فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو فيما يتعلق بالإصلاح بكل ألوانه، أو بالصلاة ونحو ذلك، وهو من الخوف الذي ليس له مسوغ، إلا أنه خوف الشيطان، وهو خوف ليس صاحبه مكرهاً، بل يستطيع أن يدعو إلى الله بكل سهولة، ومع هذا يمتنع؛ لأنه يخاف من أناس أن يؤذوه، فيكبر الموضوع تكبيراً غير طبيعي، وبهذه الطريقة يمتنع عن الصالحات، فيقع في

ترك واجب من الواجبات الشرعية أياً كان هذا الواجب، سواء أكان هذا الواجب في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم في الصلاة والزكاة والصيام ونحو ذلك من العبادات المشروعة، أم في إطلاق اللحية، أم في غير ذلك.

أنواع المحاب المطلوبة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال: وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين)، أخرجاه]. هذا الحديث في محبة النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، نفي الإيمان فيه هو بحسب نوع المحبة التي صرفت لغير الله كما سبق أن بينا، وهذا يدل على أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الإيمان مثل محبة الله سبحانه وتعالى. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال: ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)، وفي رواية: (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى) إلى آخره]. وجه الدلالة من هذا الحديث هو من ناحية أن المحبة يتفاوت فيها الناس، فبعضهم يبلغ درجات عالية من المحبة، وبعضهم أقل من ذلك. ولهذا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن صنف معين من الناس وجد حلاوة الإيمان، وهو من أهل الإيمان، فالذي لم يجد حلاوة الإيمان لا يعني ذلك أنه ليس بمسلم، بل المراد درجة المحبة العالية، ولهذا سبق أن بينت أن توحيد الألوهية مثل الإيمان يزيد وينقص، وكل الأعمال المتعلقة بتوحيد الألوهية يزيد فيها الإيمان وينقص أيضاً، فالمحبة تزيد وتنقص، والرجاء يزيد وينقص، والخوف يزيد وينقص، والتوكل يزيد وينقص، والناس ليسوا على مرتبة واحدة، إلا أن هناك حداً أساسياً لازماً لكل هذه الأنواع جميعاً، فإيمان القلب له حد أساسي، وأعمال الجوارح لها حد أساسي، وعناصر أعمال القلب لا بد من أن يوجد فيها حد أدنى إذا لم يوجد في الإنسان يزول الإيمان بزواله، ولهذا جاء في حديث الجهنميين أن الله عز وجل يقول: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان). يعني: من كان في قلبه مثقال الذرة مع وهو مخلوط من المحبة والخوف والرجاء، والأمور الأساسية من أعمال القلب، مثل: تصديق القلب، ويقين القلب، والإخلاص، والانقياد، ونحو ذلك. فإيمان هؤلاء نقص حتى صار مثقال ذرة، وليس مثقال الذرة من المحبة فقط، بل من المحبة والخوف والرجاء، ومثقال الذرة لا يكفي وحده في النجاة عند الله عز وجل، بل لا بد من أن يكون معه عمل صالح في الظاهر، وهو نطق الشهادة والصلاة، واجتناب الكفر الأكبر المخرج من الملة، واجتناب نواقض الإيمان، وهذا الاجتناب هو في حد ذاته عمل. وقد يقول بعض الناس: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يعلموا خيراً قط). فنقول: ليس المقصود أنه ليس عندهم عمل، وإنما المقصود أنهم من قلة عملهم يكادون أن يصلوا إلى درجة أنهم لم يعلموا خيراً قط، والذي دعانا إلى أن نفسر هذا التفسير هو أحاديث الجهنميين التي تبين أنهم قالوا: لا إله إلا الله) وهذا عمل خير زيادة على مثقال الذرة، وتبين كذلك وتدل أيضاً أنهم من أهل الصلاة، ولهذا يعرفون بمواطن السجود، وتبين أنهم امتنعوا عن نواقض الإيمان العملية، وهذا خير أيضاً، فلا بد من أن نجمع بين هذه الأحاديث لنفسر هذا التفسير، وهذا سائر في لغة العرب، فالرجل إذا غضب على ولده يقول له: أنت لست بولدي، ولا يقصد بذلك أنه لم يأت من صلبه، وأنه يتهم هذا الولد بأنه ولد بغي -مثلاً- والعياذ بالله، وإنما المقصود أنه ليس بالولد الطائع، فالولد من طبيعته أنه يطيع والده، فالمقصود: لست من ولدي الذي يطيع والده. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله؛ وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولم يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجزي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير]. هذا الأثر عن ابن عباس يضعفه بعض العلماء، وعلى وهو متعلق بمسألة لوازم المحبة، فالمحبة في الله، والبغض في الله، والموالاتة في الله، والمعاداة في الله، كلها من لوازم المحبة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن عباس في قوله تعالى: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ [البقرة: 166] قال: المودة]. يعني: تقطعت الأسباب بالكافرين فلم تنفعهم محبتهم لآلهتهم التي كانوا يتخذونها سبباً للنجاة عند الله سبحانه وتعالى.

تخويف الشيطان أوليائه وأثره على التوحيد

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: 175]]. هذه الآية: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ [آل عمران: 175] فيها تقدير: (يخوفكم من أوليائه)، يعني أن:

الشیطان یأتی ویخوفکم من أولیائه، فیقول لکم مثلاً: إن الأعداء أقویاء، وعندهم أسلحة کبیرة، ومکانة عظیمة، وقدرات هائلة، وهذا کالخوف الحاصل الآن من إسرائيل، إذ هناك خوف عظیم عند کثیر من المسلمین مع الأسف الشدید، وما هذا إلا من تخویف الشیطان، کما قال تعالی: **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ** [آل عمران:175]. یقول تعالی: **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** [آل عمران:175]، ففی هذه الآیة شرط، وهو قوله تعالی: **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** [آل عمران:175]. فالخوف من الله شرط فی الإیمان، والخوف من غیر الله عز وجل قاذح فی الإیمان، سواء أکان القدح من جنس الشریک الأصغر أم من جنس الشریک الأكبر، فهو بحسب درجة الخوف. قال المؤلف رحمه الله تعالی: [وقوله: **إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ** [التوبة:18]]. والشاهد هو قوله تعالی: **وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ** [التوبة:18]، فهنا نفی وإثبات، والنفی والإثبات یدلان على الحصر والقصر والاختصاص. فالنفی فی قوله تعالی: **لَمْ يَحْشَ** [التوبة:18]، والإثبات فی قوله تعالی: **إِلَّا اللَّهَ** [التوبة:18]، وهذا یدل على أن الخشیة یجب أن تكون لله خالصة. ویفرق بعض العلماء بین الخوف والخشیة، فیقول: إن الخشیة خوف عن علم، ویستدلون على ذلك بقول الله سبحانه وتعالی: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [فاطر:28]، فاستخدم فی هذه الآیة الخشیة؛ لأنها مضافة إلى العلماء. عظیم خطر الالتزام بالتوحید وعدم الخوف من الناس

قال المؤلف رحمه الله تعالی: [وقوله: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** [العنکبوت:10]]. هذه الآیة تدل على أن الالتزام بالتوحید لیس أمراً هیئاً، وأن الالتزام بالتوحید لا یكون فی السراء فقط، أو عند عدم الأذى، ولا یكون بحسب التشهی، بل الموحّد هو الإنسان الصادق الذی یصبر فی السراء والضراء، سواء أكانت فتنته بالدنیا من مال أو نساء أو نحو ذلك، أم كانت فتنته بالقوة والأذى، ولهذا فإن النبی صلی الله علیه وسلم عندما باع أصحابه فی العقبه بایعهم بقوله -كما فی لفظ أبی داود -: (وأن تعضکم السیوف)، والعرض معروف، والمعنی أن السیوف تضربکم، فبایعوه على أن یصبروا على ذلك، ولهذا لما كانوا فی البیعة قال سعد بن عبادة لأصحابه: هل تعلمون على ماذا تبایعون هذا الرجل؟! إنکم تبایعونه على مفارقة الأسود والأبیض، وتبایعونه على مفارقة الأهل والخلان وكل الناس فوفوا بهذه البیعة فی مواطن کثیرة. قال المؤلف رحمه الله تعالی: [وعن أبی سعید رضی الله عنه مرفوعاً: (إن من ضعف الیقین أن ترضی الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم یؤتک الله، إن رزق الله لا یجره حرص حریص، ولا یرده کراهیة کاره)]. هذا الحدیث معناه عظیم جداً، وإسناده فیہ ضعف. قال المؤلف رحمه الله تعالی: [وعن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: (من التمس رضی الله بسخط الناس رضی الله عنه، وأرضی عنه الناس، ومن التمس رضی الناس بسخط الله سخط الله علیه وأسخط علیه الناس)، رواه ابن حبان فی صحیحه]. هذا الحدیث یدل على ثمرة الخوف من الله سبحانه وتعالی، وتعظیم الله عز وجل، وأن ثمرته تكون فی الدنیا والآخرة أيضاً. التوکل وأنواعه

التوکل معناه: الاعتماد القلبي، وینقسم إلى قسمین: الأول: الاعتماد على المخلوق فیما یقدر علیه. والثانی: الاعتماد على المخلوق فیما لا یقدر علیه. فأما الاعتماد على المخلوق فیما یقدر علیه فإنه ینقسم إلى قسمین: اعتماد مباح، واعتماد محرم. فأما الاعتماد المباح فهو أن یعتمد الإنسان على شخص یوکل فی أمر من الأمور یقدر علیه، فالنبی صلی الله علیه وسلم وكل علی بن أبی طالب رضی الله عنه فی أن ینحر بقیة الإبل عندما کان فی الحج، والوكالة باب من الأبواب الفقهیة، والله عز وجل یقول: **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** [المائدة:2]، فالاعتماد على الآخرين فی الأمور التی یقدر علیها الإنسان فی العادة هو من جنس التعاون، وإن کان الأولى ترکه، لا سیما فیما یمکن للإنسان أن یقوم به، ولهذا کان السلف -رضوان الله علیهم- إذا سقط سوط أحدهم تناوله بیده ولم یقل لأحد: ناولنیه، أو: أعطني إیاه. وأما الاعتماد المحرم على المخلوق فیما یقدر علیه فهو الاعتماد علیه فیما یقدر علیه وتعلیق القلب به، فتعلیق القلب بهذا المخلوق محرم، حتی لو کان یقدر علیه، ومثال ذلك كون الإنسان یتعلق بالوظیفة التی هو فیها، وقد یترك بعض ما أمر الله عز وجل به بسبب اعتماده على هذه الجهة أو تلك فی عطائه أو رزقه، فهذا من المحرم، فإذا تعلق القلب بالمخلوق وصار فیہ نوع افتقار وقع فی الإثم، والعیاذ بالله. أما التعلق بالمخلوق والاعتماد علیه فیما لا یقدر علیه -سواء أکان ذلك مما یقدر علیه الإنسان فی الأصل، ولكن طلب من میت أو من غائب، أم کان لا یقدر علیه جنساً وأصلاً- فهو شریک أكبر مخرج عن دائرة الإسلام، والتوکل على الله لا شک فی أنه

من أعظم أنواع العبادات. ويمكن أن نقسم الاعتماد القلبي بالطريقة السابقة إلى قسمين: الاعتماد على الله، والاعتماد على غير الله. فأما الاعتماد على الله فهو أصل عظيم من أصول التوحيد، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً وتروح بطاناً). يعني: تخرج من أوكارها جائعة خمصته البطون، وترجع في آخر النهار وقد امتلأ بطونها، وكل ذلك من رزق الله عز وجل، وهذا يدل على أنها منذ خروجها كانت معتمدة على الله عز وجل؛ إذ هو المتكلف بأرزاق العباد سبحانه وتعالى. وأما الاعتماد على غير الله عز وجل فهو بحسب التفصيل السابق.

ثمرة التوكل على الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق:3]]. هذه الآية دلالتها ظاهرة، وفيها بيان ثمرة التوكل، وهي أن الله عز وجل حسبه وكافيه من كل شيء، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا [النساء:81]. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173] قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173]، رواه البخاري والنسائي]. قوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ [آل عمران:173]، هؤلاء ركب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد: إن أبا سفيان ومن معه سيفزونكم بعد هزيمتكم في أحد، وسيستأصلون شأفتكم ويزيلونكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173]، يعني: كافينا الله عز وجل، و(نعم) من صيغ المدح، فقوله: وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173] يعني: نعم المعتمد عليه سبحانه وتعالى. ومن الفوائد في هذا الأمر ما ذكره ابن القيم في مقام التوكل على الله في كتابه مدارج السالكين، حيث يقول: (لو أن مؤمناً توكل على الله عز وجل في إزالة جبل لأزاله)، وهذا من الأشياء العجيبة التي ذكرها رحمه الله، فالتوكل على الله عز وجل يعطي قوة في الدنيا، كما أنه من مقامات الإيمان، ولهذا لما اجتمع العالم كله والتحالف الدولي على أفغانستان، وطلبوا منهم طلباً محرماً، فرفضوا وأبوا، وتوكلوا على الله عز وجل واعتمدوا عليه ووهبهم الله تعالى هيبة عدوهم لهم، ووقف موقفاً تاريخياً لا يمكن أن ينسى ضد دول الكفر، فالدولة المحاربة له ليست دولة واحدة، مع أنها لو كانت دولة واحدة لكانت كافية في إزالة نظام ضعيف من الناحية المادية كنظام طالبان، ومع ذلك لما اجتمع التحالف الدولي، والدول الصناعية ومن معها من المنافقين على هذه الجماعة المؤمنة، فتوكلوا على الله وصبروا أصبح أولئك وإلى الآن هم يخافونهم ويخشونهم، ويترددون في المواجهة معهم. فالتوكل على الله يرزق الإنسان من القوة والصمود ومواجهة الباطل الشيء الكثير.

الطاعة وأقسامها

الالتزام بالطاعة المطلقة للأمر والنهي عبادة يجب أن تصرف لله سبحانه وتعالى، فمن صرفها لغير الله عز وجل فقد وقع في الشرك. والطاعة نوعان: طاعة الله عز وجل ورسوله، وطاعة غير الله عز وجل ورسوله فهي من التوحيد الخالص. وأما طاعة غير الله عز وجل فتنقسم إلى قسمين: القسم الأول: طاعته في طاعة الله عز وجل. والقسم الثاني: طاعته في غير طاعة الله. فأما إذا أطاعه في طاعة الله عز وجل فهذا لا إشكال فيه، مثل: طاعة العلماء، والصالحين، وولاة الأمر إذا أمروا بما فيه مرضاة الله عز وجل، ومنها طاعة الوالدين في طاعة الله عز وجل، فهذا لا إشكال فيه؛ لأن الأصل هو طاعة الله سبحانه وتعالى. وأما طاعة غير الله عز وجل في معصية فهي نوعان: النوع الأول: أن تكون هذه الطاعة مبنية على أساس اعتقاد حل الحرام، وتحريم الحلال، أي: يطيع غير الله عز وجل وهو يعتقد أنه يملك أن يحل ويحرم، ويملك التشريع، فهذا شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام، وهذا هو معنى اتخاذ اليهود لأخبارهم والنصارى لرهبانهم أرباباً من دون الله، كما جاء في حديث عدي بن حاتم، بمعنى أنهم يحلون لهم الحرام فيتبعونهم، ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فتلك عبادتهم). النوع الثاني: أن تكون هذه الطاعة مبنية على أساس أن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله سبحانه وتعالى، لكن يطيعه لشهوة ورغبة، ويطيعه لدنيا، مع أنه يعتقد أن أصل تحليل الحلال وتحريم الحرام بيد الله لا بيد الخلق، وإنما أطاع هذا الإنسان في معصية الله عز وجل من أجل شهوة من الشهوات الدنيوية، فهذا النوع لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، وإنما هو من الشرك الأصغر، فإذا أمر عالم من العلماء بأمر فيه معصية لله عز وجل -كما لو أمر عالم من العلماء بأكل الربا مثلاً- فإن الذي يطيعه في ذلك ويعتقد أنه يحل الحرام يقع في الشر الأكبر، وإذا كان يعتقد أن المحلل والمحرم هو الله عز وجل، وعقيدته في تحريم الربا ثابتة، ولكن استغل هذه الفرصة ليكثر أمواله، حتى إذا سأله أحد احتج

بفتوى هذا العالم أو غيره، كان هذا من الشرك، ولكن لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، وإنما هو من الأصغر.

تقديم طاعة المتبوعين على طاعة الله ورسوله يجعلهم أرباباً من دون الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً

من دون الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر !]. كان هذا في موضوع المتعة، حيث كان أبو بكر وعمر ينهيان عن المتعة، وكان ابن عباس

يجيزها، وكان إذا ناقش بعض الناس يقول لهم: قال رسول الله، فيقولون: كرهها أبو بكر وعمر، فيغضب غضباً شديداً -وحق

له ذلك- ويقول: أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ! يعني: كيف تعارضون قول

رسول الله بقول أبي بكر وعمر، فهذا إنكار ابن عباس على من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول هاذين

الفاضلين اللذين هما من خيار الناس وأفضل الناس، فكيف من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول كاتب من

الكتاب في الصحافة، أو يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول حاكم من الحكام، أو بقول شخص من الأشخاص، بل

بعضهم وصل به الحال إلى أن يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول سفيه من السفهاء ليس له أي قيمة في علم ولا

عمل، ولهذا فإن التدني في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الواقع الذي نعيش فيه وصل إلى مرحلة منحطة بشكل

عجيب، وهو يحتاج منا جميعاً إلى التعاون على بيان طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم هذا الأمر، وطاعة الله عز وجل

وتعظيم هذا الأمر، وعدم مخالفة أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنها مهلكة للإنسان، ولهذا قال: يوشك

أن تنزل عليكم حجارة من السماء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الإمام أحمد: عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته

يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

[النور:63]، أتدري ما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك]. هذا في النوع الأول من

أنواع الطاعة، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه دلالة على أن الأمر يقتضي الوجوب؛ لأنه رتب الفتنة والعذاب

الأليم على مخالفة قول النبي صلى الله عليه وسلم. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال رحمه الله: وعن عدي بن حاتم رضي

الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَوْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ [التوبة:31])، فقلت له:

إنا لسنا نعبدهم! قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم)،

رواه أحمد والترمذي وحسنه]. هذا الحديث إسناده حسن كما قال الترمذي رحمه الله، وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله

تعالى، وهو يدل على تفسير الآية في كونهم اتخذوهم أرباباً؛ لأنهم أعطوهم حق التشريع، يحلون لهم الحرام فيتبعون،

ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم. كما هو حال أصحاب القوانين الوضعية، فإنهم أعطوا حق التشريع للجان معينة، أو

لقانونيين يشرعون بخلاف ما أمر الله عز وجل به، وهذا لا شك في أنه من الشرك الأكبر كما بين ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم

رحمه الله في تحكيم القوانين، فليراجع. والتحاكم والحكم من العبادة، ولهذا يقول الله عز وجل: إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

[يوسف:40]، فحصر الحكم في الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يطلب الحكم من غير الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال بعدها:

أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف:40] وذلك يدل أن الحكم عبادة، فيجب أن تصرف لله، وكما أن المحبة والخضوع والذل

والخوف ونحو ذلك من الأعمال عبادات، فكذلك التحاكم، فلا يجوز للإنسان أن يتحاكم إلى أي قانون من قوانين الجاهلية،

وإنما يجب عليه أن يتحاكم إلى الله عز وجل ورسوله في كل شيء.

خطر التحاكم إلى الطواغيت وجره إلى الشرك

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء:60]]. هذه الآية

فيها بيان أن من يريد التحاكم إلى غير الشريعة فهو من المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، فهم يبطنون الكفر

حيث لا يريدون التحاكم إلى الشريعة، ولهذا يظهر ذلك على فلتات أسنتهم عندما يطلبون التحاكم إلى غير الشريعة. ومن

الأدلة على أن التحاكم يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى قول الله عز وجل: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء:65]. ونحو ذلك من الآيات التي تدل على وجوب

التحاكم إلى الله ورسوله، كقول الله عز وجل في المتحاكم إلى غير الشريعة: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ [المائدة:44]. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ [البقرة:11] وقوله: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا [الأعراف:56]]. هذه الآيات عامة تشمل الإفساد بالعقائد الباطلة، والإفساد بالشرك، ومنه الإفساد بالتحاكم إلى غير شريعة الله عز وجل بعد أن أصلحها الله بشريعته، فالذي خلق الإنسان هو الله، وهو أعلم بما يصلحه وما ينفعه، ولهذا أنزل عليه شريعة تصلحه وتنفعه، فإذا ابتغى الإنسان شريعة أخرى يخترعها ويضعها هو وهو إنسان محدود العلم، محدود الفكر، محدود التصورات، فسيضع لنفسه شريعة غير الشريعة التي وضعها الله عز وجل، وهذا إفساد في الأرض بعد أن أصلحها الله عز وجل بالشريعة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ [المائدة:50]]. هذا استفهام إنكاري، وحكم الجاهلية هو كل حكم مخالف لحكم الله عز وجل، فإن الجاهلية اسم عام لكل أمر مخالف لدين الله عز وجل، حتى ولو كان من الذنوب والمعاصي، ولهذا لما عير أبو ذر بلال بن رباح رضي الله عنهما فقال له: يا ابن السوداء! قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إنك امرؤ فيك جاهلية)، يعني: فيك خصلة من خصال الجاهلية. وبوب البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان (باب الذنوب من أمور الجاهلية) فكل شيء مخالف لشريعة الله فهو من الجاهلية، سواء كان من الكبائر أم من الكفریات المخرجة عن الملة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قوله: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)]. قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح]. هذا الحديث ذكره النووي رحمه الله في الأربعين، وهو من الأحاديث التي انتقدت على الإمام النووي في ذكره لها في الأربعين؛ لأنه حديث ضعيف، وممن فصل في بيان ضعفه شارح الأربعين النووية ابن رجب الحنبلي رحمه الله في (جامع العلوم والحكم) فيمكن أن يراجع. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ [النساء:60]]. هذا الأثر المروي عن الشعبي أثر مرسل، فالشعبي من التابعين، ولم يكن من الصحابة الذين عايشوا التنزيل، فيعتبر أثراً ضعيفاً في سبب النزول، ودلالة الآية على موضوع التحاكم صريحة في لفظها. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أذلك؟! قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله]. هذا الأثر فيه ضعف، وقد يكون موضوعاً؛ لأن في إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو كذاب، وأبو صالح الراوي عنه متروك. والخبر فيه إشكال عند بعض الناس؛ إذ كيف يقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الرجل دون أن يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أو يستأذن صاحب الشأن والقضاء، وهذا الإشكال بعد بيان وضع هذا الأثر لا فائدة في الجواب عنه.

تقديم طاعة المتبوعين على طاعة الله ورسوله يجعلهم أرباباً من دون الله قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر !]. كان هذا في موضوع المتعة، حيث كان أبو بكر وعمر ينهيان عن المتعة، وكان ابن عباس يجيزها، وكان إذا ناقش بعض الناس يقول لهم: قال رسول الله، فيقولون: كرهها أبو بكر وعمر، فيغضب غضباً شديداً - وحق له ذلك - ويقول: أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ! يعني: كيف تعارضون قول رسول الله بقول أبي بكر وعمر، فهذا إنكار ابن عباس على من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول هاذين الفضلين اللذين هما من خيار الناس وأفضل الناس، فكيف من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول كاتب من الكتاب في الصحافة، أو يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول حاكم من الحكام، أو بقول شخص من الأشخاص، بل بعضهم وصل به الحال إلى أن يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول سفيه من السفهاء ليس له أي قيمة في علم ولا عمل، ولهذا فإن التدني في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الواقع الذي نعيش فيه وصل إلى مرحلة منحطة بشكل عجيب، وهو يحتاج منا جميعاً إلى التعاون على بيان طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم هذا الأمر، وطاعة الله عز وجل وتعظيم هذا الأمر، وعدم مخالفة أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنها مهلكة للإنسان، ولهذا قال: يوشك

أن تنزيل عليكم حجارة من السماء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63]، أتدري ما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك]. هذا في النوع الأول من أنواع الطاعة، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه دلالة على أن الأمر يقتضي الوجوب؛ لأنه رتب الفتنة والعذاب الأليم على مخالفة قول النبي صلى الله عليه وسلم. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال رحمه الله: وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ [التوبة:31]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم! قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم)، رواه أحمد والترمذي وحسنه]. هذا الحديث إسناده حسن كما قال الترمذي رحمه الله، وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، وهو يدل على تفسير الآية في كونهم اتخذوهم أرباباً؛ لأنهم أعطوهم حق التشريع، يحلون لهم الحرام فيتبعون، ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم. كما هو حال أصحاب القوانين الوضعية، فإنهم أعطوا حق التشريع للجان معينة، أو لقانونيين يشرعون بخلاف ما أمر الله عز وجل به، وهذا لا شك في أنه من الشرك الأكبر كما بين ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في تحكيم القوانين، فليراجع. والتحاكم والحكم من العبادة، ولهذا يقول الله عز وجل: إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ [يوسف:40]، فحصر الحكم في الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يطلب الحكم من غير الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال بعدها: أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف:40] وذلك يدل أن الحكم عبادة، فيجب أن تصرف لله، وكما أن المحبة والخضوع والذل والخوف ونحو ذلك من الأعمال عبادات، فكذلك التحاكم، فلا يجوز للإنسان أن يتحاكم إلى أي قانون من قوانين الجاهلية، وإنما يجب عليه أن يتحاكم إلى الله عز وجل ورسوله في كل شيء.

الاستسقاء بالأنواء وأقسامه وأحكامه

الاستسقاء معناه: طلب السقيا بالأنواء، والأنواء: جمع نوء، والنوء: هو النجم، فالاستسقاء بالأنواء معناه: طلب السقيا من النجوم، وطلب السقيا من النجوم ينقسم إلى قسمين: الأول: أن يطلب السقيا من النجوم على اعتبار أنها سبب. الثاني: أن يطلب السقيا منها على اعتبار أنها مؤثرة، وهذا يلحق بالكلام الذي سبق الحديث عنه في موضوع التنجيم، فالتنجيم ينقسم إلى قسمين: تنجيم يعتقد أصحابه أنه له تأثير في الأرض وفي الناس، وأن هذا التأثير ليس على أساس أنه سبب وإنما هو تأثير مستقل، فهذا شرك في الربوبية. والقسم الثاني: تنجيم يعتقد أنه سبب، فاعتقاد أنه سبب شرك أصغر؛ لأنه زعم في شيء من الأشياء أنه سبب وهو ليس بسبب، وفي حالة واحدة يعتبر شركاً أكبر، وهو إذا طلب السقيا من النجوم بقوله: يا نوء كذا! اسقنا، فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأن الاستسقاء وطلب السقيا من جنس الدعاء، وذلك لا يقدر عليه إلا الله، فإذا طلبه من غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، أما إذا نسب هذا الأمر إلى الأنواء على أنها سبب فهو شرك أصغر؛ لأنه نسب السقيا إلى النجوم على أنها سبب، وهي -في الحقيقة- ليست بسبب. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء. وقول الله تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ [الواقعة:82]]. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة). وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)، رواه مسلم، ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: (صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب). ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ [الواقعة:75]، إلى قوله: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ [الواقعة:82]]. هذا الباب فيه ذكر النوعين الذين سبق أن أشرنا إليهما، فطلب السقيا من النجوم شرك أكبر، وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أمر الجاهلية. وأما نسبة السقيا إلى النجوم والأنواء فهي من الشرك الأصغر. وفيه مأخذ آخر، وهو نسبة النعمة إلى غير الله عز وجل، وهذا الأمر سيأتي الحديث عنه -بإذن الله تعالى- عند حديثنا عن الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

تقديم طاعة المتبوعين على طاعة الله ورسوله يجعلهم أرباباً من دون الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. وقال ابن عباس رضي الله عنه: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر !]. كان هذا في موضوع المتعة، حيث كان أبو بكر وعمر ينهيان عن المتعة، وكان ابن عباس يجيزها، وكان إذا ناقش بعض الناس يقول لهم: قال رسول الله، فيقولون: كرهها أبو بكر وعمر، فيغضب غضباً شديداً -وحق له ذلك- ويقول: أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ! يعني: كيف تعارضون قول رسول الله بقول أبي بكر وعمر، فهذا إنكار ابن عباس على من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول هاذين الفاضلين اللذين هما من خيار الناس وأفضل الناس، فكيف من يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول كاتب من الكتاب في الصحافة، أو يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقول حاكم من الحكام، أو بقول شخص من الأشخاص، بل بعضهم وصل به الحال إلى أن يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول سفيه من السفهاء ليس له أي قيمة في علم ولا عمل، ولهذا فإن التدني في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الواقع الذي نعيش فيه وصل إلى مرحلة منحطة بشكل عجيب، وهو يحتاج منا جميعاً إلى التعاون على بيان طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم هذا الأمر، وطاعة الله عز وجل وتعظيم هذا الأمر، وعدم مخالفة أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنها مهلكة للإنسان، ولهذا قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63]، أتدري ما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك]. هذا في النوع الأول من أنواع الطاعة، وهو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه دلالة على أن الأمر يقتضي الوجوب؛ لأنه رتب الفتنة والعذاب الأليم على مخالفة قول النبي صلى الله عليه وسلم. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال رحمه الله: وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: (اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ يَحِزُّونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ لَا يَصِفُونَ أُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ) فقلت له: إنا لسنا نعبدهم! قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون؟ فقلت: بلى، قال: فذلك عبادتهم)، رواه أحمد والترمذي وحسنه]. هذا الحديث إسناده حسن كما قال الترمذي رحمه الله، وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، وهو يدل على تفسير الآية في كونهم اتخذوهم أرباباً؛ لأنهم أعطوهم حق التشريع، يحلون لهم الحرام فيتبعون، ويحرمون عليهم الحلال فيتبعونهم. كما هو حال أصحاب القوانين الوضعية، فإنهم أعطوا حق التشريع للجان معينة، أو لقانونيين يشرعون بخلاف ما أمر الله عز وجل به، وهذا لا شك في أنه من الشرك الأكبر كما بين ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في تحكيم القوانين، فليراجع. والتحاكم والحكم من العبادة، ولهذا يقول الله عز وجل: إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ [يوسف:40]، فحصر الحكم في الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يطلب الحكم من غير الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال بعدها: أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف:40] وذلك يدل أن الحكم عبادة، فيجب أن تصرف لله، وكما أن المحبة والخضوع والذل والخوف ونحو ذلك من الأعمال عبادات، فكذلك التحاكم، فلا يجوز للإنسان أن يتحاكم إلى أي قانون من قوانين الجاهلية، وإنما يجب عليه أن يتحاكم إلى الله عز وجل ورسوله في كل شيء.

واجب المسلمين تجاه أحداث فلسطين وأفغانستان وغيرها لا شك في أن أهل الإسلام يجب عليهم أن يتناصروا ويتعاونوا، وأن يتألم الإنسان عندما يسمع عن إخوانه في أي مكان في العالم حين يحصل لهم الأذى والقتل، ولا يخفى علينا ما يحصل لإخواننا في فلسطين من القتل والتدمير، وقتل الأطفال والنساء، وقتل الرجال بالجملة، حيث يقتل ثلاثون أو أربعون من خيرة شباب هذه الأمة في وقت واحد وهم عزل ليس معهم سلاح يدافعون به عن أنفسهم. فهذه المظاهر جعلت كل مسلم يشعر بالأسى، ويشعر بمدى الذلة التي وصلت إليها هذه الأمة. وإذا نظرنا إلى الحال الذي فيه هذه الأمة خلال هذا العام فسترى أن اليهود والنصارى وأمم الأرض جميعاً استذلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم استذلاً عجيباً وغريباً، ففي أفغانستان يقتلون بالجملة، وتجرب فيهم جميع أنواع الأسلحة، ويجرب فيهم جميع أنواع الصواريخ المدمرة، وفي فلسطين يحصل للمسلمين هذا الاستذلال على مرأى ومسمع من كل المسلمين في العالم، ولا أحد يستطيع أن يقوم بإغاثتهم ونجدهم، بل إن كثيراً من المسلمين -مع الأسف- ما زالوا في غيهم، وما زالوا في معاصيهم، فالذي يشتغل بالزنا ما زال يشتغل به، والذي يشتغل بالربا ما زال يشتغل به، والذي يشتغل بمعصية غير ذلك ما زال

يشتغل بها.

أسس رفع راية الجهاد

ولا يمكن أن نرفع راية الجهاد ونجاهد في سبيل الله إلا إذا أصلحنا أنفسنا، والإصلاح ممكن، ونحن قادرون عليه، ولهذا ينبغي أن نستثمر هذه الأحداث في إصلاح أنفسنا، وفي العودة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة) والعينة نوع من أنواع الربا، والربا اليوم يملأ البلاد الإسلامية مع الأسف، (وأخذتم بأذناب القبر، ورضيتم بالزرع) يعني: رجعتم إلى الدنيا، ورغبتم فيها، وأحببتموها (وتركتم الجهاد)، وهذا هو الواقع الموجود في حياة العالم الإسلامي اليوم (سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم). فالدين تركناه بكوننا أكلنا الربا، وهذا رمز للذنوب كلها، وبحب الدنيا وكراهية الموت، وبترك الجهاد. فهذه الأمور هي التي جعلت هذه الأمة في ذلة وصغار، ولهذا لا يمكن أن نخرج من هذه الضائقة إلا بالعودة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى. وكثير من الإخوان والمسلمين في العالم الإسلامي نسمع عنهم أنهم يقولون: نريد أن نجاهد، فما هو الطريق إلى الجهاد في سبيل الله؟! إنني أعتقد أن من أعظم الطرق إلى الجهاد في سبيل الله أن نبدأ بإصلاح أنفسنا، ونبدأ بالدعوة إلى الله عز وجل لإخواننا الآخرين، فهناك إخوان لنا قد وقعوا في شيء من الذنوب والمعاصي، ومع هذا إذا نظر أحدهم إلى إخوانه يقتلون في كل مكان فإنه يشعر بالألم والأسى، وقد يكون ممن يترك الصلاة، أو ممن يقع في الزنا ويشغل بالمعاكسات، أو يأكل الربا، ومع هذا يتحرق مما يرى من أحوال المسلمين الذين يستذلون في كل مكان، فهذه الحرقه عبادة له وأجر عند الله عز وجل، لكن ينبغي أن نفكر بعقل، وهو أن التصحيح يكون من أنفسنا، فينبغي أن نبدأ بنصيحة إخواننا هؤلاء بلطف، وبحسن خلق، وبأدب، ونقول: اتركوا هذه الحرقه وهذا الهم الذي تشعرون به، ومن حقكم أن تشعروا بهذا، وأنتم في عبادة عندما تحزنون إلى إخوانكم المسلمين، ولكن نبدأ فنصح أو ضاعنا الأخرى، فالذي يقع في شيء من الذنوب يبدأ يصحح حياته، ويكفي أن نوحّد رأينا جميعاً في أنه لا خلاص لهذه الأمة إلا بالجهاد في سبيل الله، وقد سمعنا عن القومية العربية، وأن هذه القضية هي قضية العرب، وأن الأخوة العربية والدم العربي لا بد من أن نثار له، وهذا كله كلام قد ذهب أدراج الرياح، فلا العالم العربي ولا غير العربي يستطيع أن يفك هذه الضائقة، بل لا يفكها إلا الجهاد في سبيل الله إذا كان خالصاً لوجه الله عز وجل، ويقوم به الصالحون الذين يرجون وجه الله، ويرجون الدار الآخرة، وإذا قتل أحدهم قتل وهو يرجو الجنة عند الله سبحانه وتعالى، فهو يضحي بدمه في سبيل الله سبحانه وتعالى. إذاً: هذا التوجه ينبغي أن يكون عندنا، وأنا لا أقول: إنه يخفف من حماسهم، بل الواجب أن نقوي حماسهم؛ لأن لهم حقاً في هذا، ولأن هذا عمل فاضل يقومون به، وخير كبير أن توجد مثل هذه المشاعر في نفوس إخواننا حتى ولو كان عندهم تقصير أو معاص أخرى، لكن ينبغي أن نستثمر هذا في إصلاح إخواننا، ونصيحة أخواتنا اللاتي يتبرجن، أو اللاتي يقبلن المعاكسة من الرجال، أو اللاتي يقعن في معصية من المعاصي، فهذه فرصة يمكن أن نشغلها في الدعوة إلى الله، وهناك أحداث في بعض الأحيان تهز الأمة فتجعلها تعود إلى الله عز وجل، فيجب أن نشارك في عودتها ما دام أن هذا الحدث قد وقع وهو مؤلم لنا جميعاً، ويجب أن نستفيد من هذا الحدث في نصيحة أكبر عدد من إخواننا، حتى نبدأ بالتصحيح الفعلي؛ لأن الحماسة المجردة يمكن أن تنتهي خلال أسبوع، أو شهر، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر، ثم ينتهي. فهذه الحماسة إذا بقيت حماسة مجردة فإنها تنتهي بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، أو شهر أو شهرين، وربما تنتهي بعد سنة، ثم يعود المرء إلى معاصيه، ونحن لا نريد أن يكون عندنا حماسة مجردة، بل نريد أن تكون عندنا ثوابت، وهي أن يقتنع هؤلاء الإخوة المتحمسون والأخوات المتحمسات -وحق لهم ذلك- بأن الحماسة المجردة لا تكفي، بل لا بد من أن نعود في حياتنا إلى الله عز وجل، وإذا عدنا إلى الله عز وجل فإنه لن يستطيع أحد أن يقف في وجوه المجاهدين أبداً، فنحن نسمع في الأخبار أن الأمريكان في أفغانستان يشعرون بأنهم تورطوا مع أشرف قوة في العالم كما يسمونها، وأشرف قوة في العالم هي مجموعة لا تملك أسلحة الدمار الشامل، وليس عندهم طائرات، وليس عندهم دبابات، بل هم مجموعة يسيرة هنا وهناك، لا يقاتلون بحماسة مجردة؛ لأن الحماسة المجردة عند الجد تذهب ويرجع الإنسان إلى طبيعته وضعفه واستكانته، وربما تخونه قواه بسبب ذنوبه، فإن من خان (حي على الصلاة) يخون (حي على الكفاح)، ومن يخون حي على الصلاة ولا يكون مؤدياً لواجبه الشرعي سيخون الجهاد في سبيل الله. فوجدوا أن هؤلاء قوم يستلذون بالموت ويطلبونه، كما أنهم يستلذون بالحياة ويطلبونها؛ لأن هؤلاء الناس يعرفون أن حياتهم الحقيقية هي في الموت، ولذا فإنهم يطلبونها، وقد يتأثر بعضهم عندما يرى أخاه قد فارق هذه

الدنيا إلى جنة عرضها السماوات والأرض بإذن الله تعالى، وهو لم يحصل له ذلك، وهذا المستوى لا نصل إليه إلا عن طريق الإصلاح والدعوة والتوجيه الصحيح، ولهذا فإن بعض الإخوان يسأل عن فكرة المظاهرات، وفكرة المظاهرات -في الحقيقة- فكرة غير مجدية، فماذا يستفيد الإنسان عندما يقلد الآخرين؟! فإن بعض الناس ينظر إلى التلفاز ويرى هناك أقواماً يتظاهرون، وهم يعبرون عما في نفوسهم، ولكن هذا في حد ذاته غير مفيد، وإنما المفيد هو الدعوة والإصلاح وبذل المال، فإذا كان الإنسان صادقاً ويريد الأجر عند الله عز وجل، ويريد نصر إخوانه فليبذل المال، وليدع إلى الله عز وجل، وليستغل هذه الفرصة في تعريف إخوانه ممن يقع في الأخطاء بأن السبب الذي جعلنا أذلاء هو ذنوبنا نحن، فهذه فرصة مناسبة لأن نجعل أكبر عدد ممكن من خلال الدعوة إلى الله عز وجل يرجع إلى الله عز وجل، ويترك منكратه، ويترك عبثه، ويترك كثيراً من الأخطاء الموجودة عنده، فهل سنعي دورنا؟ وهل سنعي كيف نستثمر هذه العواطف الجياشة بشكل صحيح؟ وكيف نوجهها التوجيه الصحيح؟ وهل ستعي الأخوات كيف يمكن أن تؤثر المدرسة في طالباتها، والطالبة في زميلاتهن، والأخت في قريباتها؟! وكيف يمكن أن نستثمر هذا الحدث لنقول لكل الناس: إنه لا حل إلا في الجهاد، وطريق الجهاد الأول هو أن نبدأ بإصلاح أنفسنا؛ إذ ما الفائدة أن يموت الإنسان وهو تارك للصلاة. ولهذا لو سألت أحداً من الذين يتحمسون فقلت له: لو فتح باب الجهاد الآن فهل سنقاتل ونحن نقع في الزنا؟ أو هل سنقاتل ونحن نشرب الخمر؟ أو هل سنقاتل ونحن نأكل الربا؟ أو هل سنقاتل وعندنا كثير من الذنوب والمعاصي؟ فستري الجواب: لا؛ لذا فأخبرهم بأنه لا شك في أن الفرصة الصحيحة هي في العودة إلى الله عز وجل، وأن نصلح أنفسنا، وإن غداً لناظره قريب، ولعل الله عز وجل أن يهيئ فرصة للجهاد في سبيل الله ضد هؤلاء المجرمين من اليهود والنصارى ومن كان معهم، فهذا هو التفكير الصحيح في التعامل مع هذه الأحداث. وأقول: ينبغي أن نقوي الحماسة في نفوس المسلمين، ولهم حق في أن يتأثروا، وللباكي حق في أن يبكي عندما يرى إخوانه يقتلون، وإن كان البكاء وحده لا يكفي؛ لأنه ليس صنعة الرجال، وإنما صنعة الرجال العمل، لكن العمل ينبغي أن يكون عملاً منضبطاً صحيحاً مثمراً في هذه الأزمات ومع المعطيات الموجودة الآن في الواقع الذي نعيش فيه. والدعاوى والمطالبات التي تكون أكبر من حجم الإنسان لا أظن أن لها ثمرة مفيدة في مرحلة كهذه، وإنما المفيد هو استثمار مثل هذا الحدث في الدعوة إلى الله والإصلاح، واستمرار هذا الشعور بحال إخواننا المسلمين في كل مكان في العالم، وأن نشعر بأنهم يحتاجون إلينا، ولو لم يكن من حاجتهم إلينا إلا الدعاء لكان هذا وحده عملاً كبيراً نستطيع أن نؤديه، فهذا ما أتصور وأرى أنه مفيد في مثل هذه المرحلة. أسأل الله عز وجل أن يرفع ما بإخواننا من الضر، وأسأله سبحانه وتعالى أن ينصرهم، وأن يؤيدهم، وأن يخذل عدوهم، وأن يهزم عدوهم، وأن يشتت شمله، وأن يجعله فريسة للمسلمين وغنيمة لهم، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة , كتاب التوحيد \[5\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [6] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

توحيد الربوبية والأسماء والصفات ركنان عظيمان من أركان التوحيد الذي لا يقبل الله تعالى من العبد إيماناً ولا عملاً دون تحقيقه، وهناك قوادح توصل صاحبها إلى الشرك في الربوبية، ومنها: إنكار القدر أو إنكار مرتبة من مراتبه، وإنكار النعمة ونسبتها إلى غير الله تعالى، والأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله، والتألي على الله، وسوء الظن به، وجحد شيء من الأسماء والصفات قادح في توحيد الأسماء والصفات.

الشرك في توحيد الربوبية وصوره

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد. فهذا الدرس في موضوع: الشرك في توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد الربوبية: هو توحيد الله عز وجل في الخلق والرزق والتدبير، وهذا هو أدق تعريف لتوحيد الربوبية، وقد عرّفه بعض العلماء بأنه توحيد الله بأفعاله سبحانه وتعالى، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونحو ذلك. لكن التعريف بأنه هو توحيد الله بالخلق والرزق والتدبير أدق؛ لأن تعريفه بأنه: توحيد الله بأفعاله يرد عليه أن أفعاله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين: أفعال لازمة، وهذه لا تدخل في توحيد الربوبية، كالنزل، والضحك، والغضب، ونحو ذلك، وأفعال متعدية، وهذه تدخل في توحيد الربوبية، وعليه فإن تعريف التوحيد بأنه توحيد الله بأفعاله فيه إجمال، والتعريف الأول أدق.

الإيمان بالقدر وعلاقته بتوحيد الربوبية

تحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في موضوع الشرك في توحيد الربوبية في كتاب التوحيد في موضوعات متعددة، ومنها القدر، فالقدر داخل في توحيد الربوبية، وجهة دخوله في توحيد الربوبية هي أن القدر من أفعال الله سبحانه وتعالى وصفاته، وقد بحث الشيخ موضوع القدر في بابين: الباب الأول: (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله)، والباب الثاني عن منكري القدر. والقدر له أربع مراتب: المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى الشامل لكل شيء، للماضي والمستقبل. والمرتبة الثانية: كتابة الله سبحانه وتعالى للمقادير، ويشمل ذلك كل شيء، فإنه كتب سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى قيام الساعة. والمرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة العامة، فلا يمكن أن يحصل في كون الله سبحانه وتعالى وفي خلقه إلا ما شاء وأراد سبحانه وتعالى. والمرتبة الرابعة: خلقه سبحانه وتعالى لأفعال العباد، فكل أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى. وهذه المراتب الأربع هي قواعد القدر الأساسية، فمن آمن بها جميعاً فقد آمن بالقدر، ومن لم يؤمن بها جميعاً فهو غير مؤمن بالقدر، وسيأتي الكلام على حكم منكر القدر. فنبدأ أولاً بالباب الرابع والثلاثين، وهذا الباب هو الذي تحدث فيه عن الصبر على أقدار الله المؤلمة.

فرق القدرية

يدخل في منكر القدر القدرية الذين أنكروا القدر بالجملة، والذين أنكروا القدر وقالوا: إن الله يعلم ما يفعل العبد، ولكنه لم يكتب شيئاً ولم يشأ من العباد شيئاً، ولم يخلق أفعالهم، بل العباد يخلقون أفعال أنفسهم، وهؤلاء يسمون القدرية، وهم المعتزلة. والنوع الثاني: الجبرية، وهم الذين أثبتوا القدر، ولكن أنكروا معناه الحقيقي الشرعي. فالقدرية والجبرية مع أن كل واحد منهما على النقيض من الآخر إلا أن كلاً منهما يعتبر منكراً للقدر؛ لأن معنى إنكار القدر هنا هو إنكار القدر المشروع الذي بينه الله عز وجل وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقدرية أنكروا، والجبرية أثبتوا، إلا أن الإثبات ليس إثباتاً شرعياً، فهو يتضمن إنكار القدر بالمعنى الشرعي. والجبرية قالوا: إن الله عز وجل جبر العباد على المعاصي والذنوب، وإنهم معذورون لذلك. وأما القدرية فقالوا: إن الله عز وجل لم يكتب مقادير العباد، ولم يخلق أفعالهم، بل العبد يخلق فعل نفسه، فنسبوا الخلق إلى العبد، ولهذا سماهم السلف مشبهة الأفعال مأولة الصفات، فهم معطلة ومشبهة في ذات الوقت، معطلة بالنسبة لبقية الصفات، ومشبهة بالنسبة لأفعال الله سبحانه وتعالى، حيث شبهوا العباد بالله في كونهم يخلقون ويقومون بهذه

الأعمال بدون أن تكون هناك قدرة وإرادة من الله عز وجل عليهم. والإيمان الصحيح بالقدر يكون بالإيمان بالمراتب الأربع التي سبق أن أشرنا إليها، ويكون بما ورد في حديث عبادة بن الصامت ، وبما ورد في الحديث الأخير -وهو حديث ابن الديلمى :- أن يعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ذلك كله بتقدير الله سبحانه وتعالى. إنكار النعمة وخطره على توحيد الربوبية

قال المؤلف رحمه الله: [باب قول الله تعالى: يَغْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [النحل:83]. قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا. وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: إن الله تعالى قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) الحديث وقد تقدم: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً.. ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير.]. هذا الباب يتعلق بموضوع إنكار النعمة، وموضوع إنكار النعمة يتعلق بالربوبية؛ لأن النعمة من خلق الله سبحانه وتعالى، فيجب أن نثبتها لله سبحانه وتعالى، فمن نسب النعمة لغير الله عز وجل فقد وقع في الشرك بحسب حاله في نسبة النعمة كما سيأتي تفصيله إن شاء الله. يقول الله عز وجل: يَغْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ يَعْنِي: يعرفون أن هذه النعمة من الله سبحانه وتعالى، ثم قال: ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا يَعْنِي: ينسبونها إلى غير المنعم. قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي. وظاهر العبارة أنه لا شيء فيها، فقلوه: (هذا مالي) يقال فيه: نعم هو ماله، (ورثته عن آبائي) يقال: قد يكون ورثته عن آبائه، ولكن بحسب ما قام بقلبه، فإن ذكره على سبيل الحكاية فهذا لا شيء فيه، وإن ذكره على سبيل أن هذا جاءه بسبب الإرث، فنسب هذه النعمة إلى السبب، فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن الإرث سبب حقيقي كوني وقدري، وهو في نفس الوقت شرعي، لكن الشرك وقع فيه من جهة نسبة هذه النعمة إلى أهله أو إلى وراثته.

نسبة النعمة إلى النفس من دون الله عز وجل وقدحه في التوحيد

قال المؤلف رحمه الله: [باب ما جاء في قول الله تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهٖ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي [فصلت:50] قال مجاهد : هذا بعلمي، وأنا محقوق به. وقال ابن عباس : يريد من عندي. وقوله: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي [القصص:78]. قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد : أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ.]. هذا الباب فيه نسبة النعمة إلى النفس، فبدلاً من أن يثني المرء على الله عز وجل بأن هداه وأعطاه، وأنه سبحانه وتعالى أكرمه وفضل به هذه النعمة التي عنده ينسبها إلى نفسه كما فعل قارون عندما نسب إلى نفسه الأموال والخزائن الكثيرة التي كانت العصبة من الرجال تتعب وتنوء بحمل مفاتيحها، فضلاً عن المال الذي هو داخل هذه الخزائن. فقال: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي [القصص:78] يعني: بحذقي، وفهمي، وقدراتي، وإمكاناتي، وحسن تدبيري، وهكذا. يقول الله عز وجل: وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهٖ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي [فصلت:50] يعني: إذا أصابه ضر -كالفقر أو المرض، أو أي نوع من أنواع البلاء- ثم مسه الله عز وجل برحمة منه نسبها إلى نفسه، فقال: هذا بجهدي، وهذا بقدرتي، أو نسبها إلى غير الله، كقلوه: هذا من فعل الطبيب الحاذق الذي استطاع أن يستأصل الورم مثلاً، أو أن يعطيني علاجاً قوياً مؤثراً، أو نحو ذلك، فهذا كله من الشرك. قال مجاهد : [هذا بعلمي] يعني ما عنده من الرزق وما عنده من الخير. [وأنا محقوق به] يعني: أنا مستحق له. وقال ابن عباس : [يريد: من عندي]، يعني: نسبه إلى نفسه. وقوله: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي [القصص:78] هذه قصة قارون ، قال قتادة : [على علم مني بوجوه المكاسب]، يعني: أنا رجل صاحب مواهب وقدرات، وهذا الرزق الذي بين يدي بقدراتي وإمكاناتي وحسن تخطيطي وتدبيري، فنسب النعمة إلى نفسه ولم ينسبها إلى الله عز وجل. وقال آخرون: [على علم من الله أني أهل له]، وهذا تفسير ثان، يعني: أن الله أعطاني ذلك لمكانتي عنده، وهذا من الغرور الذي يحصل لبعض الناس إذا أوتي خيراً. وهذا معنى قول مجاهد : [أوتيتُهُ عَلَى شَرَفٍ]، ثم ساق حديثاً طويلاً في قصة الأبرص والأقرع والأعمى، وأن الله عز وجل أرسل إليهم ملكاً، وأن بعضهم أنكر نعمة الله سبحانه وتعالى، وبين كيف كانت عقوبة الأقرع والأبرص وكيف كانت مثوبة الأعمى. وهذه كلها بابها واحد، وهو ما سبق أن بيناه من موضوع نسبة النعمة إلى غير الله سبحانه وتعالى على التفصيل السابق.

الأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله وخطره على توحيد الربوبية

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف:99]، وقوله: قَالَ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [الحجر:56] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله). وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراف بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق. [هذا الباب يتعلق بخصلتين سيئتين تتعلقان بالشرك في توحيد الربوبية: الأولى: هي الأمن من مكر الله عز وجل، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى يقتضي ترك ركن من أركان الإيمان، وهو الخوف من الله سبحانه وتعالى. والثانية: اليأس من روح الله عز وجل، واليأس من روح الله سبحانه وتعالى يقتضي ترك ركن من أركان الإيمان، وهو الرجاء. ولهذا ذكر أهل العلم أن هناك ثلاثة أعمال من أعمال القلوب تعتبر أصول الإيمان، وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة، وعندما تكلم أهل العلم عن الخوف والرجاء قالوا: إنهما كالجناحين للطائر. والتشبيه يقتضي أمرين: الأمر الأول: أنه لا بد من وجود الاثنين. والأمر الثاني: أنه لا بد من الاعتدال فيما بين هذين الاثنين، فإن الطائر لا يمكن أن يطير بجناح واحد، وكذلك لا يمكن أن يطير واحد جناحيه أقل من الآخر، بل لا بد من أن يكونا مستويين. ولهذا روى أبو نعيم في الحلية عن مكحول أنه قال: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق)، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، يعني: من أهل حروراء من الخوارج. أما الأمن من مكر الله فمعناه: أن الإنسان يأمن من عقوبة الله سبحانه وتعالى، ومكر الله المقصود به نوع من أنواع العقوبة، وهو الإيقاع بمن أراد أن يعاقبه من حيث لا يشعر، فهذا هو مكر الله سبحانه وتعالى، والمكر ليس بصفة نقص، بل هو صفة نقص إذا ابتدأه الإنسان بدون سبب، أما إذا كان المكر عقوبة لمن يستحق ذلك فهذا وصف محمود يدل على القوة والقدرة، ولهذا لا يصح أن يوصف الله عز وجل بالمكر مطلقاً، ولا أن يؤخذ من هذا الوصف اسم فيقال: الله الماكر مثلاً، وينسب إليه فيقال: عبد الماكر مثلاً، وإنما يؤتى بهذا الوصف منسوباً إلى الله عز وجل عند وجود مقتضاه، كقوله تعالى: وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ [الأنفال:30]. فإن العقوبة قد تأتي بشكل واضح يشعر به الإنسان، وقد تأتي بشكل لا يشعر به، فتسمى مكرراً.

اليأس من رحمة الله

وأما الخصلة الثانية فهي القنوط من رحمة الله عز وجل، ومعنى القنوط من رحمة الله: اليأس من رحمة الله، والشعور بأنه لا يمكن لرحمة الله أن تناله مطلقاً، والقنوط من رحمة الله عز وجل طعن في قدرة الله عز وجل ورحمته، فالقنوط المطلق كفر مخرج عن الإسلام، والقنوط المطلق: هو الذي لا يكون معه رجاء مطلقاً، بحيث لا يوجد عنده أصل الرجاء، فهذا كفر مخرج عن الملة. والنوع الثاني من القنوط: هو القنوط الذي يجعل الإنسان يخاف من عدم المغفرة إلى درجة سوء الظن بالله عز وجل، ولكن يبقى عنده أصل الرجاء، فهذا ليس بكفر أكبر، بل هو من الكفر الأصغر والشرك الأصغر. والدليل على أن اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى من الكفر هو قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف:87] وروح الله: رحمة الله سبحانه وتعالى، واليأس: هو القنوط، يقول الله عز وجل: قَالَ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [الحجر:56]، فلا بد من وجود أصل الرجاء عند العبد، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله) واليأس معناه: القنوط، والقنوط معناه: اليأس، وروح الله: رحمة الله، ثم قال: (والأمن من مكر الله) فهذه أمور معدودة في الكبائر. وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراف بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق، وإسناده صحيح. ويلحظ في كلام ابن مسعود التفريق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، وقد ذكر بعض الشراح فرقاً لطيفاً، وهو أن القنوط استبعاد لرحمة الله، واليأس استبعاد لزوال المكروه؛ فكان اليأس مرتبط بالمكروه الذي يحصل للإنسان، مثل المرض والبلاء ونحو ذلك، والقنوط كأنه من الأمور المتعلقة بالذنوب والمعاصي، فإذا أذنبت وعصى فإنه قد يصل إلى مرحلة يقنط فيها من رحمة الله. فهذا هو التفريق الذي ذكره بعض الشراح، وإن كان أن القنوط واليأس بمعنى واحد في العموم.

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله وأثر ذلك على توحيد الربوبية

قال المؤلف رحمه الله: [باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن خلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله). رواه ابن ماجه بسند حسن]. هذا الباب متعلق بالشرك في توحيد الربوبية، ووجه علاقة هذا الموضوع بتوحيد الربوبية أن من لم يقنع بالحلف

بالله فإن ذلك يدل على عدم تعظيمه لله سبحانه وتعالى، وهذا نقص في توحيده، فمن خلف له بالله وهو يعرف أن الحالف صادق، ثم لم يقنع دل ذلك على أنه لا يعظم الله سبحانه وتعالى، وليس لله مكانه في قلبه. وهناك فرق بين نوعين من الناس: نوع يحلف وهو كاذب وتعرف أنه كاذب، فهذا لا يلزم أن تصدقه؛ لأن الشك ليس في الحلف، بل الشك في الشخص الحالف. والنوع الآخر المقصود بهذا الحديث، وهو من عُرف بالصدق ثم خُلف بالله عز وجل، فلم يقنع بالحلف، بل يريد أن يحلف بمعظم آخر، أو يريد أن يقنعه بأمر آخر غير الحلف، كأثر من الآثار المادية ونحو ذلك، فهذا لا شك في عدم تعظيمه لله عز وجل، وهذا يدل على نقص في توحيد هذا الإنسان، والحديث هو عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم) وهذا من الشرك؛ لأن الحلف تعظيم، فإذا حلف بغير الله فمعنى هذا أنه عظم غير الله عز وجل، والأصل في الحلف بغير الله أنه شرك أصغر، وأنه من الشرك الذي يتعلق بالألفاظ، وسيأتي الحديث عنه في شرك الألفاظ. قال صلى الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق)، وهذا أمر بأن يبتعد الإنسان عن الكذب في الحلف بالله؛ لأن من كذب وهو يحلف بالله عز وجل فقد وقع في اليمين الغموس إن كان ما يحلف عليه أمراً ماضياً، وإن كان أمراً مستقبلاً دل ذلك على عدم تعظيمه لله سبحانه وتعالى، والحلف بالله في أمر ماض كقوله مثلاً: والله لقد حصل قبل أيام كذا وكذا وهو كاذب، فهذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في نار جهنم، ومن حلف بالله مستقبلاً وهو ينوي أنه لن ينفذ، أو جاء الوقت ولم ينفذ كان ذلك دليلاً على عدم تعظيمه لله سبحانه وتعالى، قال: (ومن حلف له بالله) أي: من حلف له بالله من شخص صادق (فليرض) يعني: فليرض بالحلف بالله سبحانه وتعالى، (ومن لم يرض فليس من الله) وهذا وعيد شديد يدل على أن من لم يقنع بالحلف بالله عز وجل فهو غير معظم لله. وبعض الناس -مثل أصحاب القبور- قد يأتي ويحلف بالله عز وجل كثيراً ولا يصدق، ولا يمكن أن يحلف بالولي مرة واحدة ويكذب، وذلك لأن هذا نابع عن عقيدة فاسدة عنده، وهي أن الولي له تأثير على أولاده، وماله، وصحته، وأهله، ويقول: الله عز وجل غفور رحيم، ويأمن من مكر الله سبحانه وتعالى. اليأس من رحمة الله

وأما الخصلة الثانية فهي القنوط من رحمة الله عز وجل، ومعنى القنوط من رحمة الله: اليأس من رحمة الله، والشعور بأنه لا يمكن لرحمة الله أن تناله مطلقاً، والقنوط من رحمة الله عز وجل طعن في قدرة الله عز وجل ورحمته، فالقنوط المطلق كفر مخرج عن الإسلام، والقنوط المطلق: هو الذي لا يكون معه رجاء مطلقاً، بحيث لا يوجد عنده أصل الرجاء، فهذا كفر مخرج عن الملة. والنوع الثاني من القنوط: هو القنوط الذي يجعل الإنسان يخاف من عدم المغفرة إلى درجة سوء الظن بالله عز وجل، ولكن يبقى عنده أصل الرجاء، فهذا ليس بكفر أكبر، بل هو من الكفر الأصغر والشرك الأصغر. والدليل على أن اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى من الكفر هو قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف: 87] وروح الله: رحمة الله سبحانه وتعالى، واليأس: هو القنوط، يقول الله عز وجل: قَالَ وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [الحجر: 56]، فلا بد من وجود أصل الرجاء عند العبد، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله) واليأس معناه: القنوط، والقنوط معناه: اليأس، وروح الله: رحمة الله، ثم قال: (والأمن من مكر الله) فهذه أمور معدودة في الكبائر. وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق، وإسناده صحيح. ويلحظ في كلام ابن مسعود التفريق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، وقد ذكر بعض الشراح فرقاً لطيفاً، وهو أن القنوط استبعاد لرحمة الله، واليأس استبعاد لزوال المكروه؛ فكأن اليأس مرتبط بالمكروه الذي يحصل للإنسان، مثل المرض والبلاء ونحو ذلك، والقنوط كأنه من الأمور المتعلقة بالذنوب والمعاصي، فإذا أذنّب وعصى فإنه قد يصل إلى مرحلة يقنط فيها من رحمة الله. فهذا هو التفريق الذي ذكره بعض الشراح، وإن كان أن القنوط واليأس بمعنى واحد في العموم.

ما جاء في الإقسام على الله وأثره على توحيد الربوبية

قال المؤلف رحمه الله: [باب ما جاء في الإقسام على الله. عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟) إني قد غفرت له وأحببت عملك]. رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. [هذا التألي على الله عز وجل، والإقسام عليه عز وجل، وهو من سوء الأدب معه والإدلال عليه سبحانه وتعالى، وهذا راجع إلى عدم

تعظيمه لله عز وجل، وهو مناف للتوحيد، ولهذا نحن جعلناه متعلقاً بتوحيد الربوبية؛ لأنه ليس في قلبه تعظيم لله سبحانه وتعالى. ولقد جاء في هذا الحديث: (قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحببت عملك) فهذا يدل على وجود عجب في قلب هذا الإنسان. ولهذا فإن كثيراً من الناس قد يحتقر بعض أصحاب المعاصي إلى درجة أنه يشعر بأنهم من أهل النار والعياذ بالله، وأنه هو -لحصول بعض الطاعات منه- من أهل الجنة، وهذا خطأ، فإن الواجب أن ينظر الإنسان إلى نفسه بنظر المقصر ولا يتألى على الله عز وجل، فقد تكون عند الآخر معصية واحدة، وعندك معاص كثيرة وأنت لا تشعر بها، فقد يكون عندك رياء، أو سمعة، أو أي معصية من المعاصي، ولهذا لا يجوز للإنسان أن يتألى على الله عز وجل، فيقول: والله لا يغفر الله لفلان، أونحو ذلك من العبارات. اليأس من رحمة الله

وأما الخصلة الثانية فهي القنوط من رحمة الله عز وجل، ومعنى القنوط من رحمة الله: اليأس من رحمة الله، والشعور بأنه لا يمكن لرحمة الله أن تناله مطلقاً، والقنوط من رحمة الله عز وجل طعن في قدرة الله عز وجل ورحمته، فالقنوط المطلق كفر مخرج عن الإسلام، والقنوط المطلق: هو الذي لا يكون معه رجاء مطلقاً، بحيث لا يوجد عنده أصل الرجاء، فهذا كفر مخرج عن الملة. والنوع الثاني من القنوط: هو القنوط الذي يجعل الإنسان يخاف من عدم المغفرة إلى درجة سوء الظن بالله عز وجل، ولكن يبقى عنده أصل الرجاء، فهذا ليس بكفر أكبر، بل هو من الكفر الأصغر والشرك الأصغر. والدليل على أن اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى من الكفر هو قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف:87] وروح الله: رحمة الله سبحانه وتعالى، واليأس: هو القنوط، يقول الله عز وجل: قَالَ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [الحجر:56]. فلا بد من وجود أصل الرجاء عند العبد، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله) واليأس معناه: القنوط، والقنوط معناه: اليأس، وروح الله: رحمة الله، ثم قال: (والأمن من مكر الله) فهذه أمور معدودة في الكبائر. وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق، وإسناده صحيح. ويلحظ في كلام ابن مسعود التفريق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، وقد ذكر بعض الشُّراح فرقاً لطيفاً، وهو أن القنوط استبعاد لرحمة الله، واليأس استبعاد لزوال المكروه؛ فكان اليأس مرتبط بالمكروه الذي يحصل للإنسان، مثل المرض والبلاء ونحو ذلك، والقنوط كأنه من الأمور المتعلقة بالذنوب والمعاصي، فإذا أذنب وعصى فإنه قد يصل إلى مرحلة يقنط فيها من رحمة الله. فهذا هو التفريق الذي ذكره بعض الشُّراح، وإن كان أن القنوط واليأس بمعنى واحد في العموم.

ما جاء في الاستشفاع بالله على خلقه وخطره على توحيد الربوبية قال المؤلف رحمه الله: [باب: لا يستشفع بالله على خلقه. عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! نُهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله، سبحان الله!) فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويحك! أتدري ما الله؟! إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه). وذكر الحديث، رواه أبو داود.] هذا الباب متعلق بمسألة عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى، فإن هذا الرجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنا نستشفع بالله عليك، يعني: نتوسط بالله عندك، فالشفاعة: هي الوساطة، يعني: ندعو الله عز وجل بأن يتوسط عندك فتدعو الله عز وجل، وهذا عدم تعظيم لله عز وجل، فإن الله عز وجل لا يستشفع به على أحد من خلقه، بل هو -سبحانه وتعالى- مالك الشفاعة، وهو معطيها سبحانه وتعالى، وهذا اللفظ يدل على عدم تعظيم الله عز وجل، وهو مناف لتوحيد الربوبية من جهة أنه عدم تعظيم لله سبحانه وتعالى. وهذا ليس من الشرك الأكبر، بل هو من الشرك الأصغر؛ لأنه يتعلق باللسان، وغالب الناس لا يقصد حقيقة أن الله عز وجل أقل شأنًا من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد يكون معنى اللفظ خطير، لكن قد لا يكون صاحب هذا اللفظ يقصد ذلك المعنى، ولهذا لم يرتب النبي صلى الله عليه وسلم أحكام الردة عليه، ولم يستتبه النبي صلى الله عليه وسلم. أما الإقسام على الله عز وجل السابق فهو بحسبه، فإن كان تألى على الله عز وجل -بمعنى أنه قال: والله لا يغفر الله لفلان- من جهة أنه رأى أن هذا العبد مفزطاً فالحبوط الموجود في العمل هو حبوط جزئي، وإن كان المقصود أنه إلزام لله عز وجل بأن الله لا يغفر لهذا الشخص؛ فهذا لا شك في أن الحبوط المقصود به حبوط كلي، ويكون

ناقلًا عن الملة، فالإقسام على الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: أن يتألى شخص على الله عز وجل تألياً مطلقاً تاماً، فهذا من الشرك الأكبر. والثاني: أن يرى أن هذا الشخص صاحب معصية، فيرى أنه من أهل النار، وهذا يكون الحبوط فيه حبوطاً جزئياً، والشرك فيه شركاً أصغر.

اليأس من رحمة الله

وأما الخصلة الثانية فهي القنوط من رحمة الله عز وجل، ومعنى القنوط من رحمة الله: اليأس من رحمة الله، والشعور بأنه لا يمكن لرحمة الله أن تناله مطلقاً، والقنوط من رحمة الله عز وجل طعن في قدرة الله عز وجل ورحمته، فالقنوط المطلق كفر مخرج عن الإسلام، والقنوط المطلق: هو الذي لا يكون معه رجاء مطلقاً، بحيث لا يوجد عنده أصل الرجاء، فهذا كفر مخرج عن الملة. والنوع الثاني من القنوط: هو القنوط الذي يجعل الإنسان يخاف من عدم المغفرة إلى درجة سوء الظن بالله عز وجل، ولكن يبقى عنده أصل الرجاء، فهذا ليس بكفر أكبر، بل هو من الكفر الأصغر والشرك الأصغر. والدليل على أن اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى من الكفر هو قول الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَيْئُسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [يوسف: 87] وروح الله: رحمة الله سبحانه وتعالى، واليأس: هو القنوط، يقول الله عز وجل: قَالَ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [الحجر: 56]، فلا بد من وجود أصل الرجاء عند العبد، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله) واليأس معناه: القنوط، والقنوط معناه: اليأس، وروح الله: رحمة الله، ثم قال: (والأمن من مكر الله) فهذه أمور معدودة في الكبائر. وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق، وإسناده صحيح. ويلحظ في كلام ابن مسعود التفريق بين القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، وقد ذكر بعض الشراح فرقاً لطيفاً، وهو أن القنوط استبعاد لرحمة الله، واليأس استبعاد لزوال المكروه؛ فكان اليأس مرتبط بالمكروه الذي يحصل للإنسان، مثل المرض والبلاء ونحو ذلك، والقنوط كأنه من الأمور المتعلقة بالذنوب والمعاصي، فإذا أذنّب وعصى فإنه قد يصل إلى مرحلة يقنط فيها من رحمة الله. فهذا هو التفريق الذي ذكره بعض الشراح، وإن كان أن القنوط واليأس بمعنى واحد في العموم.

ظن السوء بالله وخطره على توحيد الربوبية

قال المؤلف رحمه الله: [باب قول الله تعالى: يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ [آل عمران: 154]. وقوله: الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ [الفتح: 6] قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصادق. فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشية مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار. وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟ فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً] هذا الباب: يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ [آل عمران: 154] المقصود به هو ظن السوء بالله سبحانه وتعالى، وهو متعلق بتوحيد الربوبية؛ لأنه عدم ثقة بأفعال الله عز وجل وأخباره وأقواله سبحانه وتعالى، وقد فسره ابن القيم رحمه الله ونقل كلام أهل العلم في تفسيره، بأمرين: الأمر الأول: هو ظن أن الله عز وجل لن ينصر رسوله ولن يظهر أمره، وأن أمر هذا الدين سيضمحل. والأمر الثاني: هو ظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، وهذا يدل على أنهم من المنكرين للقدر. بناء على ذلك نقول: حكم الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية إذا كان المقصود به أن الله عز وجل لن ينصر هذا الدين تكديباً لخبر الله عز وجل، وتكديباً لوعده سبحانه وتعالى بظهور هذا الدين، حكمه أنه كفر أكبر مخرج من الملة، ولهذا جعل الله هذه الصفة -وهي الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية- في هؤلاء المنافقين. وأما إذا كان المقصود بالظن هنا: أنهم يظنون أن ما يحصل لهم من المصائب، وما يحصل لهم

من النعم ليس بقدر الله عز وجل، فذلك داخل في الموضوع الذي سبق أن شرحناه، وهو حكم إنكار القدر؛ وقد بينا حكم إنكار القدر بالتفصيل.

الشعور بالإحباط من انتصار دين الله من سوء الظن بالله

هناك نوع من الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية لا يدخل في الكفر الأكبر، وهو الشعور بالإحباط في انتصار هذا الدين مع الإيمان بوعد الله سبحانه وتعالى، والإيمان بخبر الله سبحانه وتعالى في انتصاره، فهذه المشاعر التي تحصل عند كثير من الناس عندما يرى أحدهم جهامة الباطل وقوته، ويرى ضعف أهل الحق، قد يخالطه شعور بأنه لن ينتصر هذا الدين مع وجود أسلحة الدمار الشامل، ولن يظهر هذا الدين، ولن تكون له صولة وجولة بشكل كبير. فنقول لمن هذا حاله أولاً: لا يشترط في ظهور هذا الدين أن يكون له دولة عظيمة وكبيرة، وإنما ظهور هذا الدين هو ظهور حجته وبيانه، واستمراره وعدم انقطاعه، وقبول كثير من الناس له. ثانياً: أن الله عز وجل أخبر أن هذا الدين سيظهر، ولا بد من الإيمان بخبر الله عز وجل ووعد، ولا بد من التصديق بذلك، ومن شك فهو على خطر في عقيدته، وأما من خالطته مشاعر وهو غير شاك فذلك دليل على ضعف الإيمان عنده، ولكن لا يخرج ذلك من الملة، وإنما يخرج من الملة من كذب خبر الله أو شك فيه، مع أن الواقع هو أن الحق منتصر ولله الحمد، وليس الانتصار دائماً بالسيف، وإنما يكون بالحجة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، قال الشيخ عبد الرحمن باطين: ظاهرين بالحجة دائماً. يعني: أصحاب حجة وبيان، وبالسيف أحياناً، فقد تكون لهم دولة في بعض الأحيان وقد لا تكون لهم دولة في بعض الأحيان.

بيان عظمة الله تعالى وقدرته ومكانته

قال المؤلف رحمه الله: [باب ما جاء في قول الله تعالى: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الزمر: 67]]. هذا فيه بيان أن المشركين ما عظموا الله عز وجل، ولا عرفوا قدره ومكانته وكبريائه وعظمته، مع أن الأرض يوم القيامة ستكون في قبضة الله عز وجل، ولهذا ستأتي أوصاف تبين أن الله عز وجل هو الكبير المتعالي سبحانه وتعالى، وأنه صاحب الكبرياء سبحانه وتعالى، وتبين أن الإنسان إذا عظم الله عز وجل فإنه يكون موحداً توحيداً صحيحاً، وكل ما سبق من نسبة النعمة لغير الله، أو عدم القناعة بحلف من حلف بالله عز وجل وهو من الصادقين المعروفين، أو من أقسم على الله وتألى عليه، أو استشفع به على غيره، أن كل ذلك يدل على عدم تعظيم الله عز وجل ومعرفة منزلة الله. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الزمر: 67]). وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك وأنا الله). وفي رواية للبخاري: (يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ وروي عن ابن عباس قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس). قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض). وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله، قال: وله طرق. وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض،

والله سبحانه تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم). أخرجه أبو داود وغيره]. هذا الباب الأحاديث المذكورة فيه كلها تدل على تعظيم الله عز وجل ومكانته وكبريائه سبحانه وتعالى، وقد عقده المصنف ليبيين أمرين مهمين: الأمر الأول: أن تعظيم الله سبحانه وتعالى ومعرفة كبريائه سبحانه وتعالى، ومعرفة منزلة الله سبحانه وتعالى سبب في البعد عن الشرك في الربوبية، سواء في إنكار القدر، أو في الإقسام على الله، أو في التآلي عليه، أو في الاستشفاع به على غيره من خلقه، أو نحو ذلك من أنواع القدح في الربوبية التي سبق أن أشرنا إليها. الأمر الثاني: أنه أراد أن يختتم كتابه (كتاب التوحيد) ببيان برهان من أعظم براهين توحيد الألوهية، وهو عظمة الله سبحانه وتعالى وكبريائه، فإن من عرف عظمة الله عز وجل وكبريائه عرف أنه هو المعبود وحده، وأنه هو المستحق للعبادة وحده دون شريك، فهذا برهان من براهين توحيد الألوهية، ولهذا ختم به المصنف رحمه الله كتابه. وبقي معنا موضوع واحد، وهو: إنكار توحيد الأسماء والصفات. وهذا الدرس سميناه: الشرك في توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وكل الأبواب السابقة تجتمع في موضوع واحد، وهو: الشرك في توحيد الربوبية، كإنكار القدر، أو الاستشفاع بالله عز وجل على خلقه، أو الإقسام، أو نحو ذلك من الأنواع التي سبقت جميعاً، فكلها تجتمع في معنى واحد، وهو: الشرك في الربوبية، ومنها ما يكون بسبب سوء الظن في الله، ومنها ما يكون بسبب إنكار أفعال الله عز وجل ونسبة النعمة إلى غيره، ونحو ذلك من الأنواع. وبقي معنا إنكار الصفات؛ إذ الشيخ لم يتحدث عن موضوع صفات الله عز وجل في هذا الكتاب المتعلق بالتوحيد إلا في باب واحد تقريباً، وهو الباب رقم تسعة وثلاثين. وهناك باب يتعلق بأسماء الله سبحانه وتعالى، ولكن أبرز ما فيه هو التوسل، ولهذا سنتحدث عنه قريباً إن شاء الله تعالى

الشعور بالإحباط من انتصار دين الله من سوء الظن بالله

هناك نوع من الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية لا يدخل في الكفر الأكبر، وهو الشعور بالإحباط في انتصار هذا الدين مع الإيمان بوعد الله سبحانه وتعالى، والإيمان بخبر الله سبحانه وتعالى في انتصاره، فهذه المشاعر التي تحصل عند كثير من الناس عندما يرى أحدهم جهامة الباطل وقوته، ويرى ضعف أهل الحق، قد يخالطه شعور بأنه لن ينتصر هذا الدين مع وجود أسلحة الدمار الشامل، ولن يظهر هذا الدين، ولن تكون له صولة وجولة بشكل كبير. فنقول لمن هذا حاله أولاً: لا يشترط في ظهور هذا الدين أن يكون له دولة عظيمة وكبيرة، وإنما ظهور هذا الدين هو ظهور حجته وبيانه، واستمراره وعدم انقطاعه، وقبول كثير من الناس له. ثانياً: أن الله عز وجل أخبر أن هذا الدين سيظهر، ولا بد من الإيمان بخبر الله عز وجل ووعد، ولا بد من التصديق بذلك، ومن شك فهو على خطر في عقيدته، وأما من خالطته مشاعر وهو غير شاك فذلك دليل على ضعف الإيمان عنده، ولكن لا يخرج ذلك من الملة، وإنما يخرج من الملة من كذب خبر الله أو شك فيه، مع أن الواقع هو أن الحق منتصر ولله الحمد، وليس الانتصار دائماً بالسيف، وإنما يكون بالحجة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، قال الشيخ عبد الرحمن باطين: ظاهرين بالحجة دائماً. يعني: أصحاب حجة وبيان، وبالسيف أحياناً، فقد تكون لهم دولة في بعض الأحيان وقد لا تكون لهم دولة في بعض الأحيان.

الأسماء والصفات وحكم من جحدها أو جحد شيئاً منها

قال المؤلف رحمه الله: [باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات. وقول الله تعالى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ [الرعد:30]. وفي صحيح البخاري: قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه؟! ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ [الرعد:30]]. توحيد الأسماء والصفات ثابت لله عز وجل، وهو نوع من أنواع التوحيد الثلاثة. والأسماء الثابتة لله عز وجل هي الأسماء الحسنى، والمقصود بالحسنى: التي بلغت الغاية في الحسن والجمال والكمال لله سبحانه وتعالى، والصفات: هي الصفات العليا الثابتة لله سبحانه وتعالى، والصفات تنقسم إلى أقسام متعددة بحسب جهة التقسيم، فهي تنقسم باعتبار تعلقها بذات الله عز وجل إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية. أما الصفات الذاتية: فهي الصفات التي لا تنفك عن الله عز وجل، ولا تتعلق بالمشيئة، مثل العلم، والحياة، والإرادة، والعينين، واليدين، والوجه، ونحو ذلك من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله عز وجل بأي وجه من الوجوه. النوع الثاني من الصفات: الصفات الفعلية، وقد يعبر عنها بعض العلماء بالصفات الاختيارية، وهي الصفات التي يفعلها الله سبحانه

وتعالى بإرادته ومشيئته واختياره، فإذا شاء فعلها وإذا لم يشأ لم يفعلها، فهي متعلقة بمشيئة الله عز وجل، مثل الكلام، والضحك، والغضب، والنزول، والاستواء، ونحو ذلك من الصفات التي تسمى بالصفات الفعلية. والصفات الفعلية تنقسم إلى قسمين: صفات لازمة لذات الله عز وجل ليس لها أثر متعدد، وصفات متعددة إلى الخلق، وتسمى صفات الربوبية. ومثال الصفات اللازمة: الضحك، والغضب، والنزول، والاستواء. ومثال الصفات المتعدية: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير، ونحو ذلك. ومن جحد الأسماء والصفات ففي توحيد خَل؛ لأنه يجب أن يسمى الله بما سمي به نفسه وبما سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم. فمن جحد شيئاً من أسماء الله، أو من صفات الله سبحانه وتعالى فقد وقع في خلل وقدح ونقض للتوحيد، والجحد: معناه الإنكار. والإنكار ينقسم إلى قسمين: إنكار تكذيب، بحيث يكذب بأسماء الله عز وجل أو ببعضها، أو يكذب بصفات الله عز وجل أو ببعضها، فالمكذب لو كذب بصفة واحدة أو باسم واحد فهو كافر وليس بمسلم. القسم الثاني: جحد من جحد شيئاً من أسماء الله عز وجل وصفاته، أو جحد ما جميعاً يكون متأولاً، فعنده جحد التأول أو التأويل، وهذا النوع من أنواع الجحد يدخل في قاعدة تكفير المتأول التي سبق أن أشرنا إليها، وهي أنه إذا كان تأوله قريباً، وكانت عنده شبهة وإشكال من حيث اللغة فلا يكفر، وإنما يكون تأوله بدعة مخالفة لطريقة الصحابة رضوان الله عليهم وسلف هذه الأمة، وأما إذا كان تأوله بعيداً من حيث اللغة فهذا كفر مخرج عن الملة، والشيخ إنما ساق هذه الأدلة ليدل على هذه القضية، ومن ذلك قول الله تعالى: **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ [الرعد:30]** فإنكار أسماء الله سبحانه وتعالى من صفات الكفار، فقلوه: **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ [الرعد:30]** يعني: لا يؤمنون به، ولهذا لما جاء سهيل بن عمرو قبل إسلامه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحديبية وكتب كتاب الصلح بينهم قال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب: (اكتب باسم الله الرحمن الرحيم) فقال: أما الرحمن فلا نعرفه، قل: (باسمك اللهم)، ولهذا قال الله عز وجل عنهم: **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ [الرعد:30]** وكفرهم بالرحمن لا يعني أنهم ينكرون وجود الله، وإنما يكفرون بالاسم، فهم يعترفون بوجود الله بدليل قول الله تعالى: **وَلَيْئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان:25]**، ولكن يكفرون بأن يكون هذا اسماً لله سبحانه وتعالى، وفي صحيح البخاري قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! ولهذا روي عن ابن مسعود أنه قال: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. وهذه الآثار ساقها الشيخ هنا ليبين أن كثير من الناس ممن يتكلم في الأسماء والصفات قد لا يحسن الكلام فيها، فيشكك الناس فيها، ولا يعني هذا أننا لا نتكلم مع الناس في الأسماء والصفات، فالقرآن مليء بالأسماء والصفات، والسنة مليئة، ويقرؤها العامي والصغير والكبير، والقرآن يقرؤه كل مسلم، ومع هذا لم يكن مصدر إشكال، وإنما المقصود أنه في طريقة حديث الإنسان عن الأسماء والصفات قد يثير بعض الشبه أو الإشكالات أو بعض الأمور التي يكون فيها تشكيك للآخرين، فلا يجوز أن يكون الحديث عن الأسماء والصفات بهذه الطريقة، ولهذا قال: [حدثوا الناس بما يعرفون]. يعني: بما يعرفون من فطرتهم المعروفة أن الله عز وجل له الأسماء الثابتة والصفات الثابتة، وأنها على حقائقها لا نعرف كيفيتها، وأنه لا يعرف كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى، وقال: [أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!] يعني: يمكن للإنسان أن يبحث بعض الأحيان في مسألة من المسائل في الأسماء والصفات فيشكك الناس، كأن يذكر لوازم ذلك، فيبدأ يشككهم، فيقول مثلاً: كيف ينزل الله عز وجل ثلث الليل الآخر وهو مستو على عرشه؟! مع أن هذه لا إشكال فيها، فنحن لا نعرف ذات الله سبحانه وتعالى. والشاهد من هذا هو أن طريقة المناقشة مع العوام لا تذكر فيها صفات الله عز وجل بطريقة غير صحيحة. وبالجمع بين قول علي بن أبي طالب، وقول ابن مسعود، وقول ابن عباس رضي الله عنه يتضح أن المقصود ليس هو ترك الكلام في الأسماء والصفات، بل عرضها بطريقة مشككة، ويدل على ذلك فعل ابن عباس، فإنه ذكر بعض أسماء الله وصفاته عند رجل فأصابته رعشة وانتفض، فغضب ابن عباس وقال: [ما فرق هؤلاء؟] يعني: ما الذي أخاف هؤلاء؟ [يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه]، يعني: عند ما يسمع شيئاً يشكك عليه فيهلك، وهذا خطأ، وقوله هذا لا يدل على أن أسماء الله عز وجل وصفاته من المتشابه، وإنما المقصود هو أن هذا الرجل ظن بأسماء الله عز وجل ظناً فاسداً، وهو أنها تشبه شيئاً من خلق الله عز وجل، ولهذا أصابته هذه الرعشة، فلو أنه لم يخطر بباله أنها تشبه صفات المخلوقين لما حصل له ذلك. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

الشعور بالإحباط من انتصار دين الله من سوء الظن بالله

هناك نوع من الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية لا يدخل في الكفر الأكبر، وهو الشعور بالإحباط في انتصار هذا الدين مع الإيمان بوعد الله سبحانه وتعالى، والإيمان بخبر الله سبحانه وتعالى في انتصاره، فهذه المشاعر التي تحصل عند كثير من الناس عندما يرى أحدهم جهامة الباطل وقوته، ويرى ضعف أهل الحق، قد يخالطه شعور بأنه لن ينتصر هذا الدين مع وجود أسلحة الدمار الشامل، ولن يظهر هذا الدين، ولن تكون له صولة وجولة بشكل كبير. فنقول لمن هذا حاله أولاً: لا يشترط في ظهور هذا الدين أن يكون له دولة عظيمة وكبيرة، وإنما ظهور هذا الدين هو ظهور حجته وبيانه، واستمراره وعدم انقطاعه، وقبول كثير من الناس له. ثانياً: أن الله عز وجل أخبر أن هذا الدين سيظهر، ولا بد من الإيمان بخبر الله عز وجل ووعد، ولا بد من التصديق بذلك، ومن شك فهو على خطر في عقيدته، وأما من خالطته مشاعر وهو غير شاك فذلك دليل على ضعف الإيمان عنده، ولكن لا يخرج ذلك من الملة، وإنما يخرج من الملة من كذب خبر الله أو شك فيه، مع أن الواقع هو أن الحق منتصر ولله الحمد، وليس الانتصار دائماً بالسيف، وإنما يكون بالحجة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، قال الشيخ عبد الرحمن باطين: ظاهرين بالحجة دائماً. يعني: أصحاب حجة وبيان، وبالسيف أحياناً، فقد تكون لهم دولة في بعض الأحيان وقد لا تكون لهم دولة في بعض الأحيان.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة , كتاب التوحيد \[6\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [7] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

أول شرك وقع في حياة البشرية كان بسبب الغلو في الصالحين وتعظيم آثارهم، والعكوف على قبورهم، ومن هنا بدأ شرك القبوريين حتى أصبح من أبرز أنواع الشرك في حياة الناس، وحقيقته هو عبادة أصحاب القبور من دون الله تعالى، وللقبوريين شبهات يتعلقون بها ويسوغون بها شركهم وباطلهم، وقد أجاب عنها علماء أهل السنة والجماعة بما يشفي العليل ويروي الغليل، ومن أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات.

القبوريون وشبهاتهم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا هو الدرس السابع، وهو في شبهات القبوريين، والقبوريون: هم الذين يعبدون القبور، ويعكفون عندها، ويعظمونها، ويغلون فيها. وقد بدأت القبورية في تاريخ الإنسانية منذ بداية الشرك، بل إن أول شرك وقع في حياة الإنسانية كان بسبب الغلو في الصالحين، وتعظيم آثارهم، والعكوف على قبورهم. وهكذا استمر الشرك في الإنسانية، وفي التاريخ البشري، وكان أبرز نوع من أنواع الشرك في حياة الناس هو التبعد لأصحاب القبور. والشبهات التي عند أصحاب القبور التي يسوغون بها الشرك كثيرة جداً، بل إنه عند التفصيل وعند تكثير الأنواع يمكن أن تصل إلى ثلاثمائة شبهة تقريباً، وهذه الشبه جمع أهمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب (كشف الشبهات)، فقد جمع قرابة عشر شبهات، وهي من أهم الشبهات التي يتذرع بها أصحاب القبور فيما يقومون به من شرك مناقض لتوحيد الألوهية. وسبق أن بينا أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وأن بعثة الرسل كانت من أجل تقرير هذا النوع من أنواع التوحيد، ولهذا كان أهل الشرك في زمن الأنبياء يعرفون أن الله هو الخالق، الرزاق، المحيي، المميت، المدبر، الذي بيده مقاليد كل شيء، وأنه لا خالق إلا هو، ولا رازق إلا هو سبحانه وتعالى. كانوا يعرفون ذلك معرفة تفصيلية، ولكن وقع الشرك عندهم في توحيد الألوهية في عبادة غير الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: قُلْ مَنْ يَزِدُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَفْلِكُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ [يونس:31]، وهناك مجموعة كبيرة من الآيات تدل على هذا المعنى. فإذا عرف الإنسان حقيقة شرك المشركين، وعرف أنهم كانوا يقرنون لله سبحانه وتعالى بتوحيد الربوبية، ويعتقدون أن الله هو الخالق، الرزاق، المحيي، المميت وحده، وعرف أن هذا التوحيد لم ينفعهم عند الله سبحانه وتعالى مع أنه نوع من أنواع التوحيد، إذا عرف ذلك عرف التوحيد المطلوب في النجاة عند الله سبحانه وتعالى، وهو توحيد الألوهية. فمن جاء إلى الله عز وجل وهو مقر بتوحيد الربوبية وغير مقر بتوحيد الألوهية فلا يقبل الله عز وجل منه هذا النوع من التوحيد، يقول الله سبحانه وتعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:106]. فأثبت لهم نوعاً من أنواع الإيمان، لكن هذا النوع من أنواع الإيمان ما كان لينفعهم؛ لأنهم كانوا يشركون مع الله سبحانه وتعالى في الألوهية، ولهذا استحل النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم، وفارقهم، وفاصلهم، وقتلهم، وميز بين أتباع دينه وأتباع دينهم، وحصلت بينه وبين قومه معارك كبيرة ومشهورة، وولاء لأصحابه، وعداء للمشركين. كل هذا يدل على أن الإيمان بتوحيد الربوبية وحده غير كاف، وأنه لا بد للإنسان - ليكون موحداً عند الله عز وجل - من أن يؤمن بتوحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. وينبغي أن يعلم الإنسان أن أهل الشرك ما زالوا إلى اليوم، وأنه لم ينقطع الشرك في حياة هذه الأمة، وسيأتي معنا باب عن هذا الأمر بالتفصيل، فالشرك ما زال واقعاً في هذه الأمة، ولا يمكن أن تطبق هذه الأمة بأكملها على عبادة غير الله سبحانه وتعالى وتقع كلها في الشرك. وسنبداً في بداية الأمر بالباب الثاني والعشرين، وهو الباب الذي يتعلق بكون بعض هذه الأمة يعبد الأصنام ويعبد الأوثان، وهذا يدل على أن الشرك سيبقى في حياة الأمة، ويحتاج منا إلى أن نتعلم العقيدة الصحيحة، ونتعلم كيفية مواجهة هؤلاء المشركين.

وقوع الشرك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف رحمه الله: [باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. وقول الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ [النساء:51]، وقوله تعالى: قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ [المائدة:60]، وقوله تعالى: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا [الكهف:21]، وعن أبي سعيد رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟! قال: فمن؟!)، أخرجاه. الآيات الثلاث الأولى في هذا الباب تتعلق بالأُمم الأخرى، فقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ [النساء:51] يعني: اليهود والنصارى، يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ [النساء:51] الجبت: هو السحر، والطاغوت: هو الشرك عموماً، وفسره جابر بأن كهاناً في أحياء من العرب كانوا يتكهنون للناس ويخبرونهم بالمغيبات، فهذه الآية هي في شرك المشركين السابقين، ولا علاقة لها بهذه الأمة بشكل مباشر. والآية الثانية هي قول الله تعالى: قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ [المائدة:60]، والطاغوت: هو الشرك، وهذه الآية أيضاً في اليهود. والآية الثالثة قوله تعالى: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا [الكهف:21]، وهذا كان في زمن أصحاب الكهف. فالآيات الثلاثة كلها في الأمم السابقة، ولكن علاقتها بموضوع كون بعض هذه الأمة يعبد الأصنام هي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر خبراً عن أمر سيقع في هذه الأمة، وهو مشابهة جزء من هذه الأمة لليهود والنصارى والمشركين، فقال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه). فإذا كان المشركون السابقون قد وقعوا في الشرك فإنه سيقع في هذه الأمة أيضاً بمقتضى خبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكما أن من هذه الأمة من شابه الأمم السابقة في كثير من الأمور، سواء المتعلقة بالعقائد أو السلوك، ف كذلك في هذه الأمة من سيقع في عبادة الأوثان كما وقع فيها بعض الأمم السابقة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إنني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال: من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً)، ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)]. الشاهد من هذا الحديث هو في الزيادة التي رواها البرقاني في صحيحه وهي جزء من حديث ثوبان الطويل، وموطن الشاهد فيه هو قوله: (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين)، وهذا تصريح بوقوع الشرك في هذه الأمة، (وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان)، وهذا أيضاً واضح، (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي)، يعني من يدعي النبوة، والعدد في قوله: [ثلاثون] ليس مقصوداً، أو يحمل على أنه أقل نوع كما ذكر ذلك بعض الشراح. قال: (وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) ثم قال: (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق)، إلى آخره. والداعي لعقد هذا الباب هو أن الشيخ وجد من القبوريين من يزعم أن الشرك لا يمكن أن يقع في هذه الأمة، وعندما أظهر الشيخ الدعوة إلى توحيد الألوهية ونبد الشرك في الألوهية انتقده البعض من هؤلاء وقالوا: إن الشرك لا يمكن أن يعود مرة أخرى في المسلمين، واستدلوا على ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (إن الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)، وفهموه على أنه لا يمكن أن يعود الشرك مرة أخرى في حياة الناس، وهذا خطأ، فإن المقصود بالحديث هو أن الشيطان لما رأى الفتوحات الإسلامية، ورأى ظهور الدين وانتشاره في الأرض يئس أن يعبد المصلون، فكونه يئس لا يعني أنه لن يعود؛ لأن الشيطان لا يعلم الغيب، فهذا إخبار عن حالة نفسية الشيطان عندما رأى الفتوحات، ورأى ظهور الدين، فأصابه إحباط ويأس من أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن هل يعني هذا أنه إذا أصابه اليأس والإحباط كان توقعه وفكره صحيحاً؟! والجواب: لا. فهذا الحديث يدل على ظهور الدين، ولكن لا يدل على امتناع عودة الشرك في حياة بعض الأمة مرة أخرى، وخبر النبي صلى الله عليه وسلم هذا يثبت ذلك ويوضحه، فالقول بأنه لا

يمكن عودة بعض هذه الأمة إلى الشرك قول مخالف لهذه النصوص الظاهرة والواضحة. وبناء على هذا نقول: كما أنه لا يمكن أن تعود هذه الأمة إلى الشرك المحض التام بحيث لا يوجد في الأرض من يقوم لله عز وجل بالإسلام والدين الصحيح الحق؛ لحديث الطائفة، فكذلك يمكن أن يعود الشرك في حياة بعض المسلمين، فيعبدون الأوثان والأصنام مرة أخرى، وهذا يقتضي منا أن ندعوا إلى الله عز وجل، وأن نصلح بقدر ما نستطيع، وألا يأخذنا العجب بمعرفتنا ودراستنا للتوحيد إلى ألا يظن أنه لا يمكن أن يعود الشرك مرة أخرى، فهذا غير صحيح، بل يمكن أن يعود الشرك مرة ثانية في حياة بعض المسلمين.

الرد على شبهات القبوريين

ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشف الشبهات عشر شبهات ثم رد عليها. وفي بداية الكتاب قدم الشيخ بمقدمة عن حقيقة التوحيد، وعن حقيقة الشرك الذي وقع فيه المشركون، وعن طريق المعرفة الصحيحة لتوحيد المرسلين، وتحدث عن أعداء التوحيد، وأن الله سبحانه وتعالى قدر لهذه الأمة أن يوجد لها أعداء: للأنبياء الذين بعثوا فيهم، ولأتباع الأنبياء أيضاً، يقول الله عز وجل: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا [الأنعام:112]**. فهؤلاء الأعداء عندهم علم وفهم وحجج وكتب، ولديهم قدرات وإمكانات، فيأتون بالشبه إلى الناس، ويلبسون عليهم، كما قال الله عز وجل: **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [غافر:83]**، وهذا يدل على أن عندهم شيئاً من العلم أثبتته الله لهم ففرحوا به، فهم أهل فصاحة، وأهل حجاج، وأهل علم، وهذا يقتضي من الموحد أن يتعلم التوحيد على صورته الصحيحة وبشكله الصحيح، ثم يعرف شبهات هؤلاء فيفندها ويرد عليها. ثم بين رحمه الله تعالى أن الرد على شبهات هؤلاء يكون بطريقتين: الطريقة الأولى: طريقة مجملة أو جواب مجمل، والطريقة الثانية: طريقة مفصلة، أو جواب مفصل.

الرد على شبهة عرض جبريل إغاثته على الخليل حين ألقى في النار

الشبهة العاشرة: هي قصة إبراهيم عندما ألقى في النار، ففيها أنه لما ألقى في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا، فقالوا: لو كانت الاستغاثة شركاً لما عرضها عليه جبريل. والجواب على هذا سهل جداً، وهو أن هذا الخبر ليس صحيحاً، ولم يرد بإسناد صحيح ولا ضعيف، فالخبر لا أصل له كما يعبر المحدثون، وهو مثل حديث (تعلموا السحر ولا تعملوا به) فهذا حديث لو بحثت عنه فلن تجد له أصلاً في الكتب التي خصصها العلماء للأحاديث الموضوعة. والأمر الثاني: أنه لو تنزلنا وقلنا: إن هذا الحديث صحيح فإننا نقول: إن جبريل عرض له ما يستطيع عليه، وهو أن يأخذه من الهوى وهو قادر على ذلك، ولكن لا نحتاج إلى هذا التنزل؛ لأن هذا الخبر مكذوب ولا يصح، فلا يكون مقبولاً. هذه هي الشبهات التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الكتاب الصغير المليء بالعلم والفائدة، وهو (كشف الشبهات). ونكون بهذا قد انتهينا من موضوع شبهات القبوريين، وهي أكثر من هذا، ولكن اقتصرنا على هذا الكتاب لأننا لا نريد الإطالة.

الشفاعة وأقسامها

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب الشفاعة: وقول الله تعالى: **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّنْ دُونِهِ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ [الأنعام:51]**، وقوله: **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا [الزمر:44]**، وقوله: **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة:255]**، وقوله: **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى [النجم:26]**، وقوله: **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ [سبا:22]**. وقال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى [الأنبياء:28]**، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه). فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها

القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه]. هذا النص مأخوذ من (قاعدة جلية في التوسل والوسيلة)، وبهذا يتبين من خلال النصوص الواردة في الشفاعة أنها تنقسم إلى قسمين: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فأما الشفاعة المنفية: فهي الشفاعة التي ادعاها المشركون، وأما الشفاعة المثبتة: فهي الشفاعة الثابتة في القرآن والسنة بشروطها، وهي: الإذن، والرضا عن المشفوع بأن يكون من أهل التوحيد، ويكون ذلك يوم القيامة.

الرد على شبهة عرض جبريل إغاثته على الخليل حين ألقى في النار الشبهة العاشرة: هي قصة إبراهيم عندما ألقى في النار، ففيها أنه لما ألقى في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا، فقالوا: لو كانت الاستغاثة شركاً لما عرضها عليه جبريل. والجواب على هذا سهل جداً، وهو أن هذا الخبر ليس صحيحاً، ولم يرد بإسناد صحيح ولا ضعيف، فالخبر لا أصل له كما يعبر المحدثون، وهو مثل حديث (تعلموا السحر ولا تعملوا به) فهذا حديث لو بحث عنه فلن تجد له أصلاً في الكتب التي خصصها العلماء للأحاديث الموضوعة. والأمر الثاني: أنه لو تنزلنا وقلنا: إن هذا الحديث صحيح فإننا نقول: إن جبريل عرض له ما يستطيع عليه، وهو أن يأخذه من الهوى وهو قادر على ذلك، ولكن لا نحتاج إلى هذا التنزل؛ لأن هذا الخبر مكذوب ولا يصح، فلا يكون مقبولاً. هذه هي الشبهات التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الكتاب الصغير المليء بالعلم والفائدة، وهو (كشف الشبهات). ونكون بهذا قد انتهينا من موضوع شبهات القبوريين، وهي أكثر من هذا، ولكن اقتصرنا على هذا الكتاب لأننا لا نريد الإطالة.

التوسل وأقسامه

التوسل معناه: الدعاء والطلب بوسيلة. والتوسل ينقسم إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

التوسل الممنوع

أما التوسل الممنوع فينقسم إلى قسمين: توسل بدعي، وتوسل شرعي. أما التوسل البدعي: فهو التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأي وسيلة من الوسائل غير الثلاث السابقة، مثل التوسل إلى الله عز وجل بجاه فلان من الصالحين، أو بمنزلة فلان من الصالحين. فهذه بدعة؛ لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم الإذن فيها، والعبادات مبنية على التوقيف، ولا يصح للإنسان أن يشرع في دين الله عز وجل ما ليس منه، فلا يصح للإنسان أن يدعو الله عز وجل بجاه فلان من الصالحين أو بمنزلته، ثم إن جاه فلان ومنزلته ليس له أي ارتباط عملي وسببي من الناحية الشرعية ولا من الناحية الطبيعية، فليس هناك أي ارتباط. وهناك نوع من أنواع التوسل فيه خلاف بين العلماء، وهو التوسل إلى الله عز وجل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، فهل يجوز للإنسان أن يتوسل إلى الله عز وجل بذات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: اللهم إني أسألك بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو: أسألك بجاه محمد صلى الله عليه وسلم؟! فهذه الصيغة موطن خلاف بين العلماء، والصواب أنها لا تجوز؛ لعدم ورود الدليل الواضح الذي يدل على جوازها. وغاية ما عند الذين أجازوا هذه الصيغة هو التعلق بحديث الأعمى، وحديث الأعمى فيه إشكالان: الإشكال الأول: أن الحديث لم يثبت عند كثير من العلماء. الثاني: أن الحديث فيه غموض وفيه مواطن مشكلة. ولهذا لا يصح الاستدلال بالحديث الذي فيه غموض ومواطن مشكلة في قضية عقدية كهذه، ولكن هل نتهم من يجوز الدعاء بجاه النبي صلى الله عليه وسلم بالبدعة؟ والجواب: لا نتهم بالبدعة. فإن قيل: فما هو الفرق بين التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم -بمعنى: دعاء الله بجاه النبي صلى الله عليه وسلم- وبين دعائه بجاه أي شخص آخر؟ قلنا: هناك فرق: فجاء غيره لم يرد فيه أثر ولا حديث، فهو بدعة. وأما جاه النبي صلى الله عليه وسلم فورد فيه حديث مشكل، فإذا اجتهد أحد العلماء وأجاز ذلك -لا سيما أنه ورد عن بعض الصحابة أنه كان يجيز ذلك- فيكون هذا من الاجتهاد الذي يعذر فيه صاحبه، لا نبدعه ولا نعصمه في نفس الوقت، وإنما نقول: الصواب هو ترك هذا لضعف حديث الأعمى، ولغموض الاستدلال به. ثانياً: التوسل الشرعي، وهذا -في الحقيقة- ليس توسلاً، وإنما أدخلناه في التوسل لأن القبوريين يسمونه توسلاً، والتوسل الشرعي هو دعاء غير الله عز وجل والاستغاثة بغيره، كدعاء الأولياء والأنبياء. فنحن نقول: أولاً إن تسميتكم إياه توسلاً خطأ. الأمر الثاني: إنكم لو سميتموه توسلاً فإننا سندخله في التوسل الشرعي، فكونكم سميتموه توسلاً لا يعني أنه سيكون من نوع التوسل المشروع، أو أنه داخل في حديث الأعمى؛ لأن حديث الأعمى الدعاء فيه واضح لله، ففيه (اللهم إني أسألك)، وليس

فيه (يا محمد! أدخلني الجنة وأخرجني من النار). والاستغاثة بغير الله أمرها محكم، فهي من الشرك بغير خلاف بين العلماء المعتبرين، وأما القبوريون فلا يعتبر بهم في هذا الصدد، وخطأناهم في اعتبارهم الاستغاثة بغير الله توسلاً لأن التوسل معناه: الطلب بوسيلة، والاستغاثة معناها: الطلب مباشرة. فالتوسل هو: طلب الله بوسيلة، والاستغاثة ليس فيها طلب لله أصلاً، وإنما الطلب فيها لغير الله، فلا تصح تسميتها توسلاً. ولهذا ناقش هذه القضية كثيراً ابن تيمية رحمه الله في الرد على البكري في كتاب (الاستغاثة والرد على البكري)، وفي كتاب (قاعدة جلية في التوسل والوسيلة)، وفي: (الجواب الباهر)، وناقشه -أيضاً- أئمة الدعوة في كثير من كتبهم، وبينوا الخلط الوارد عند القبوريين في هذه المسألة، وأن الصحيح هو أن نقول: إن التوسل أصبح مصطلحاً مجملاً قد يريد به أشخاص معاني هي في الحقيقة ليست توسلاً، ولكنهم يسمونها توسلاً، فلا بد من التفصيل فيها. فنقول: إن أردت بالتوسل دعاء غير الله فهذا ليس توسلاً، وهو شرك، وإن أردت بالتوسل دعاء الله بوسيلة فبحسب نوع الوسيلة، فإن كانت بالثلاث السابقة فهذا مشروع، وإن كانت بجاه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا فيه خلاف، والصواب عدم جوازه، وإن كانت بجاه غير النبي صلى الله عليه وسلم فهذا بدعة، وهو ليس من السنة في شيء. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ [الأعراف:180]: ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ [الأعراف:180]، قال: يشركون. وعنه: سمو اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها]. سبق أن تحدثنا عن الشطر المتعلق بإنكار الأسماء والصفات في موضع سابق، وأما ما يتعلق بالتوسل فهو واضح في الآية: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف:180]، وهذا نوع من أنواع التوسل المشروع كما سبق بيانه.

الأسئلة

حكم قتل الكافر وأخذ أمواله

السؤال: هل يجوز اغتيال الكافر وأخذ أمواله؟ الجواب: الكافر ليس نوعاً واحداً، بل الكفار أنواع، فهناك كافر محارب، وهذا يجوز قتله وأخذ ماله، ويكون ماله غنيمة، وهناك كافر بيننا وبينه عهد وميثاق؛ فهذا لا يجوز أن نقاتله إلا إذا نبذنا إليه عهده، أي: أخبرناه أنه لا عهد بيننا وبينه، وهناك نوع آخر من أنواع الكفار، وهم الرسل الذين يأتونا من الكفار برسالة معينة في قضية معينة، وهؤلاء لا يجوز قتلهم. وهناك الكافر المستأمن، وهو كمن يأتي ليعمل في شركة من الشركات وبينه وبين الحكومة عقد وله أمان، فهذا لا يجوز قتله. ونحن أمة الإسلام لا نغدر ولا نخون، والقتل في حد ذاته ليس هدفاً مقصوداً، وإنما المقصود هو كسر شوكة الكفر والكافرين، ولهذا ينبغي التنبيه لهذه المسألة، فالكفار ليسوا صنفاً واحداً، فنحن عندما نتحدث عن الكفار وأنه يجوز قتلهم وأخذ أموالهم، وأنهم أعداء لله ولرسوله فهذا صحيح في الجملة، لكن عند التفصيل العملي نقول: الكافر إذا كان مستأمناً لا يجوز قتله؛ لأن هذا خيانة وغدر، فإذا كان بينك وبينه عهد فلا بد من أن تنبذ إليه وتخبره بأنه ما عاد بيني وبينك عهد، ثم تقاتله، أما إذا كان كافراً حربياً في أرض المعركة فإنه يجوز قتله، ولا إشكال في ذلك.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة، كتاب التوحيد \[7\] للشيخ: عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [8] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

الشرك كما يقع بالعمل والاعتقاد يقع كذلك بالألفاظ، وعامة شرك الألفاظ تعتبر من الشرك الأصغر، وهو أنواع كثيرة يدخل فيها الحلف بغير الله، والتشريك بين الله وخلقه في الألفاظ، وإضافة الأشياء إلى غير الله، وعدم تعظيم الله تعالى في الدعاء ونحو ذلك. ومنه الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، وهذا من الشرك الأكبر عياداً بالله.

تعظيم قول اللسان وخطره

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا هو الدرس الأخير الذي به نختم كتاب التوحيد للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى. وهذا الدرس -إن شاء الله- سيكون محوره حول شرك الألفاظ، وقبل أن نستعرض الأبواب الموجودة في شرك الألفاظ أحب أن أنبه إلى مجموعة من القواعد المتعلقة بشرك الألفاظ، وقبل أن نبدأ بهذه القواعد أحب أن أهد بقضية مهمة جداً، وهي قضية تعظيم قول اللسان وخطره. فنحن نعلم أن الإنسان يحاسب على ثلاث جوارح، أولاً: القلب، ثانياً: جوارحه الظاهرة، ثالثاً: قول اللسان، يقول الله عز وجل: **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء:36]** ويقول الله عز وجل: **مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق:18]** فكل كلمة يتكلم بها الإنسان هو مسئول عنها يوم القيامة. وجاء في حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر بخطر اللسان قال: **وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (تكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم)** فاللسان خطره عظيم، وكثير من الناس يتساهل في كلام اللسان وهذا خطأ، فالنكاح واستحلال الفروج يكون باللسان، والطلاق يكون باللسان، والكفر يكون باللسان، والإسلام يكون باللسان، فالإنسان يقول: **(لا إله إلا الله، محمد رسول الله)** فيدخل في الإسلام، ولو لم يقلها -حتى ولو كان مصداقاً بقلبه- لما دخل في الإسلام، والكفر يكون باللسان أيضاً، مثل الاستهزاء بالله أو برسوله أو بآياته أو نحو ذلك، فهذا كله من الكفر ويكون باللسان، فاللسان شأنه شأن بقية الجوارح يحاسب عليه الإنسان استقلالاً. ونقرأ أحياناً بعض الكلمات التي قد يتساهل بعض الناس فيها، فيستغرب الإنسان من اعتبارها من الشرك مع أنها أصبحت عادة كثير من الناس مع الأسف الشديد. ونقول: نعم هذه من الشرك، وسيحاسب الإنسان عليها حتى ولو اتخذها بعض الناس عادة، وأصبحت أمراً مألوفاً في كلامه وخطابه. إذ لا بد من أن يضبط المرء كلامه كما يضبط جوارحه وكما يضبط أعمال قلبه، فكل هذه الجوارح لا بد للإنسان من أن يضبطها بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

قواعد عامة في دراسة شرك الألفاظ

وهناك مجموعة من القواعد سأشير إليها في محاور شرك الألفاظ: القاعدة الأولى: تعتبر عامة شرك الألفاظ من الشرك الأصغر؛ لأنه ليس فيه عبادة تصرف لغير الله عز وجل، إلا الدعاء والاستغاثة وما يتبع ذلك من العبادات. أما الشرك الذي ستأتي الإشارة إليه، مثل قوله: **لولا الله وفلان، وما شاء الله وشئت، ومثل التعبيد بغير الله، كعبد الكعبة وعبد الحسين ونحو ذلك، فكل ذلك لا يصل إلى الشرك الأكبر؛ إذ ليس في ذلك عبادة تصرف لغير الله عز وجل، فهي من جنس الشرك الأصغر، إلا الدعاء بضوابطه التي سبق أن أشرنا إليها، وكذلك الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة، فهذه كلها جنس واحد تدخل في عموم الدعاء، فتكون شركاً أكبر بالضوابط التي سبق أن أشرنا إليها. القاعدة الثانية: أن شرك الألفاظ أنواع، وقد حاولت أن أحصر الأنواع الموجودة في كتاب التوحيد في أربعة أنواع. النوع الأول: الحلف بغير الله، والنوع الثاني: التشريك بين الله وخلقه، والنوع الثالث: إضافة الأشياء إلى غير الله، والنوع الرابع: عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى، فهذه الأنواع الأربعة تجتمع حولها جميع الألفاظ التي ذكرها الشيخ في كتاب التوحيد من الألفاظ الشركية، ولهذا سيأتي معنا عند الحديث التفصيلي أمثلة، وسنرد كل مثال من هذه الأمثلة إلى واحد من هذه الأنواع الأربعة، فإما أن يكون حلفاً بغير الله، وإما أن يكون تشريكاً في اللفظ بين الله وبين خلقه، سواء أكان بالواو أم بالتعبيد أم بغيرهما كما سيأتي معنا، وإما أن يكون إضافة أسباب وأشياء إلى غير الله سبحانه**

وتعالى، وإما أن يكون عدم تعظيم لله سبحانه وتعالى، وعدم معرفة لقدره ومكانته سبحانه وتعالى. القاعدة الثالثة: أن الألفاظ الشركية التي ذكرها الشيخ تنقسم إلى قسمين: قسم يمكن اعتباره شركاً بدون النظر إلى قصد قائله، مثل الحلف بغير الله، والاستهزاء بكلام الله أو بكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أو نحو هذا. وقسم يفترق إلى معرفة قصد صاحبه، مثل إضافة بعض الأشياء إلى غير الله عز وجل بـ(لولا) أو (لو) أو نحو ذلك، فهذه يحتاج إلى أن نعرف ما يقصد صاحبها، فهل يقصد تعظيم السبب أم لا؟ وستأتي الإشارة إلى ذلك عند الكلام المفصل. القاعدة الرابعة: أن الألفاظ الشركية التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تدخل في الشرك إذا قالها على سبيل التعظيم، أما من تعود على قولها من غير قصد التعظيم فإن بعضها يكون من جنس يمين اللغو، وهو منهي عنه، ويجب أن ينهى عنه. ويمكن أن نختم هذه القواعد بالإشارة إلى أهمية معرفة أن قول اللسان منه ما يكون كفراً أصغر، ومنه ما يكون كفراً أكبر، كما أن أعمال الجوارح منها ما يكون كفراً أكبر، ومنها ما يكون كفراً أصغر، وكذلك أعمال القلوب منها ما يكون كفراً أكبر، ومنها ما يكون كفراً أصغر بحسب نوع القول أو الفعل أو الإرادة الشركية أو الكفرية، ولكن القاعدة الأولى أردت بها الألفاظ الشركية التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في هذا الكتاب كما سيأتي تفصيله بإذن الله تعالى.

ذكر ما يقع به الشرك من الألفاظ

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول الله تعالى: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة:22]]. قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم، وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً. وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) رواه أبو داود بسند صحيح، وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويُجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان]. نلاحظ أن ابن عباس رضي الله عنها فسر آية البقرة: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة:22] بأن المراد بها الألفاظ الشركية، وهذا التفسير ليس المراد به الألفاظ الشركية فقط، وإنما هذا من باب التفسير بالنوع، فالسلف رضوان الله عليهم كانوا يفسرون بعض الآيات بذكر نوع من أنواع المفسر، ومثال ذلك قول الله عز وجل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران:103] يقول بعض المفسرين في قوله: (بحبل الله): هو القرآن، وبعضهم قال: هو الإسلام، وبعضهم قال: هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضهم قال: هو اتباع هذا الدين، وهكذا يفسرون في بعض الأحيان المعنى المجمل بذكر نوع من أنواعه، وهو يدل على غيره، فهذا يسمى التفسير بالمثال. فالألفاظ الشركية التي أشار إليها ابن عباس رضي الله عنه هي جزء من قوله تعالى: فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة:22]، وهذا يدل على أن اللسان يقع منه الشرك كما يقع من الجوارح ومن القلب، وهذا فيه الرد على المرجئة الذين حصروا الشرك في القلب لحصرتهم الإيمان والتوحيد في القلب فقط. ونلاحظ أن الأمثلة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنه داخل في الأنواع الأربعة السابقة التي أشرنا إليها، فقله: (والله وحياتك يا فلان، وحياتي) داخل في الحلف بغير الله، وسيأتي له باب مستقل، وقوله: (لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص) يدخل في إضافة الأشياء إلى غير الله عز وجل. فهو هنا أضاف النجاة من اللصوص إلى الكلبية، وهي سبب، وأضاف النجاة والابتعاد من اللصوص إلى البط، والبط سبب؛ لأنه إذا دخل اللصوص يرفع صوته ويصيح وينبه أهل الدار. ولا يصح أن نطلق على هذه الألفاظ شركاً مطلقاً، بل لا بد من التفصيل، فإن كان صاحبها يريد بها السببية المجردة -وهي سبب في حقيقة- فإنها حينئذ لا تكون من الشرك، وأما إذا أراد الاعتماد على السبب وتعظيم هذا السبب وبيان أهميته ومكانته فهي داخل في الشرك الأصغر. إذ لا بد من التفصيل في مثل هذه المضافات، فإذا أضاف الإنسان شيئاً من الأشياء إلى غير الله عز وجل فإنه ينظر: هل هو سبب في حصول هذا الشيء أم ليس بسبب؟ فإن كان سبباً فإنه ينظر إلى قصد قائله فهل هو معظم لهذا السبب أم ليس بمعظم لهذا السبب، فإن كان ليس بمعظم لهذا السبب فلا

بأس، وإن كان معظماً له فهو داخل في الشرك الأصغر، وإن كان ما أسند إليه ليس بسببٍ شرعاً ولا قدراً فهو داخل في الشرك الأصغر، وهو يدخل فيما سبق التنبيه عليه في باب الرقية والتبرك والتمائم ونحو ذلك. وقوله: (وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت) داخل في التشريك بين الله وخلقه بلفظ الواو، والواجب أن يقول: (ما شاء الله ثم شئت) وهذه أيضاً لا يصح أن يطلق عليها أنها من الشرك الأصغر مطلقاً، إلا إذا أضيف إليها شيء من التعظيم لهذا المقرون بلفظ الجلالة، أما إذا لم يكن له مراد إلا مجرد الحكاية اللفظية فإنه لا يدخل في عموم الشرك الأصغر، وإنما يكون من الألفاظ المنهي عنها والمكروهة، ولا من الألفاظ المحرمة والداخلة في الشرك الأصغر. فقول الرجل: (لولا الله وفلان) دالٌّ على التشريك في اللفظ، يقول ابن عباس: (لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك) وهذا الأثر المروي عن ابن عباس إسناده حسن إلى ابن عباس، وهو محتج به. وأما قوله: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) فإسناده صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو دليل على أن الحلف بغير الله والإقسام بغير الله عز وجل شرك أصغر؛ لأنه ليس فيه عبادة مصروفة لغير الله، فالحلف ليس فيه عبادة تصرف لغير الله إلا إذا عظم المحلوف كتعظيم الله سبحانه وتعالى، كأن يحلف -مثلاً- بأحد الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل وهو معظم لها كتعظيم الله، فهذا من الشرك الأكبر، وأما إذا لم يكن فيه تعظيم مثل تعظيم الله عز وجل، فهو داخل في الشرك الأصغر، ويكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ولكن يقول: أعوذ بالله ثم بك، مع أن الاستعاذة هنا قد تكون استعاذة فيما يقدر عليه المخلوق، قال: [ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان].

الشرك بعدم تعظيم الله في سؤال المغفرة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت. في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكروه له) ولمسلم: (وليُعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه). هذا الباب فيه النهي عن هذه اللفظة (اللهم اغفر لي إن شئت) وهو النهي عن تعليق الدعاء بهذه الطريقة في قضية معروفة، وهي المغفرة، ووجه النهي عن اللفظة أنه يفهم منها عدم تعظيم الله عز وجل؛ لأنه يفهم من هذه اللفظة: اللهم اغفر لي إن شئت، وإن شئت ألا تغفر لي فلا تغفر لي، وهذا لا يليق بالعبد.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة , كتاب التوحيد \[8\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](http://audio.islamweb.net)

<http://audio.islamweb.net>

كتاب التوحيد [9] - (للشيخ : عبد الرحيم السلمي)

هناك جملة من الألفاظ المنهي عنها؛ لكونها وسيلة إلى الشرك بالله تعالى، ومن ذلك قول: (عبدني) و(أمتي)، وقول: (لو) عند الندم على ما فات، وسب الريح، وغير ذلك من الألفاظ التي يجب على العبد الحذر منها ليسلم له توحيده وإيمانه.

النهى عن قول: عبدني وأمتي وعلته

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فقد سبق في الدرس الماضي ما يتعلق بشرك الألفاظ، وسبق أن ذكرنا مجموعة من القواعد تتعلق بالألفاظ الشركية، وفي هذا الدرس سنكمل التطبيق في بيان شرك الألفاظ. قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب لا يقول: عبدني وأمتي. في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدني وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي)]. إذا قال القائل: (عبدني)، لمن يملكه من العبيد، أو قال: (أمتي)، لجارية يملكها، فالأصل هو جواز هذا اللفظ، إلا إذا اقترن به قصد فاسد، وهو تعظيم النفس ومحاولة تشبيهها بالإله، وقد سبق أن بيئنا أن الألفاظ المنهي عنها لوجود شائبة من شوائب الشرك تنقسم إلى قسمين: قسم لا ينظر فيه إلى قصد صاحبه؛ لأن ظاهره أنه لفظ شركي، بغض النظر عن صاحبه، ولكن عند الحكم عليه لا بد من معرفة نيته وإرادته، وأما لفظه فإنه لفظ شركي، مثل (ما شاء الله وشئت)، ومثل الحلف بغير الله سبحانه وتعالى، والإقسام على الله عز وجل، إذا كان الله عز وجل حتى نحكم بأنه منهي عنه قصد القائل هو تعظيم النفس والإدلال على الله سبحانه وتعالى ونحو ذلك، أما إذا كان على سبيل الثقة بالله سبحانه وتعالى فهو جائز، كما فعله سعد بن عباد، ولكن لا يكون من أي أحد، وإنما يكون من الأولياء الصادقين الصالحين الذين لهم تعبد ولهم صدق وصلاح. فالأصل هو جواز هذا اللفظ (عبدني) و(أمتي)، فيصح للإنسان أن يقول: هذا عبدني، وهذه أمتي، ولكن إذا كانت النية قصد التعظيم ومشابهة الإله في كون الإله له عبيد وإماء، فلا شك في أنه لفظ شركي وليس بلفظ شرعي. ولهذا يرى الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في (القول السديد) أن النهي عن قوله: (عبدني) و(أمتي) نهى للكراهة، وأن ترك ذلك مستحب، وليس المقصود بالنهي هنا التحريم، كما سبق في كلمة (لولا الكلبة لسرقنا اللصوص)، فإنها بحسب قصد القائل، فإذا قصد نسبة الأسباب إلى غير الله عز وجل وتعظيمها فلا شك في أن هذا من الألفاظ الشركية، وأما إذا لم يقصد ذلك، وإنما قالها على سبيل ذكر السببية - وكان ذلك الشيء سبباً في حقيقة الأمر - فهذا لا شيء فيه، ولا إشكال فيه، وهو جائز.

النهى عن رد من سأل بالله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب لا يرد من سأل بالله. عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعاذ بالله فأعيزوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى ثروا أنكم قد كافأتموه) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح. باب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة. عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) رواه أبو داود]. نلاحظ هنا أن هذين البابين بينهما علاقة، فالباب الأول (لا يرد من سأل بالله) سبحانه وتعالى، فهذا خطاب للمسئول، فمن سأل بالله فلا يرد المسئول، والباب الثاني يتعلق بالسائل، فالسائل لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والمسئول إذا سأل بالله فلا يرد تعظيماً لله سبحانه وتعالى. والمقصود من هذا الباب هو بيان عظمة الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان إذا سأل بالله شخصاً سؤال عزيمة وليس هناك مفسدة تترتب على تحقيق سؤاله بالله عز وجل، فلا شك في أنه يجب عليه أن يجيب هذا السائل؛ لأن لله عز وجل منزلة عظيمة في نفس المسلم ونفس المؤمن، فلا بد من أن يجيب السائل إذا سأله بالله عز وجل، وهذا مقيد بشرط ألا يكون هناك مفسدة تترتب على هذا الأمر. والباب الثاني يتعلق بالسائل، وهو الحديث الذي رواه أبو داود: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)، وهذا الحديث ضعيف؛ لأن في إسناده سليمان بن قرم، وهو ضعيف، وقد تفرد بهذا الحديث، والمقصود من إيراد المصنف له هو تعظيم الله

سبحانه وتعالى بألا يسأل بوجهه الكريم إلا أعظم أمرٍ يريده الإنسان، وهو الجنة، وأما الأمور اليسيرة فإنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل فيها بوجه الله، وليس المقصود به النهي عن سؤال الله عز وجل بوجهه الكريم، وإنما المقصود نهى الخلق عن أن يسأل بعضهم بعضاً بذلك، أما سؤال الإنسان الله عز وجل بوجهه الكريم -أي: اتخاذه وسيلة- فالأصل فيه الجواز؛ لأنه من التوسل الجائز، فهو من التوسل بصفات الله عز وجل، والله عز وجل يقول: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف:180] والوجه صفة من صفاته. إذًا: المقصود بالحديث أولاً ألا يسأل بوجه الله إلا أمراً عظيماً وهو الجنة، وقوله: (لا يسأل بوجه الله)، يحتمل أنه لا يسأل الله عز وجل، ويحتمل أنه لا يسأل المخلوق، فأما سؤال المخلوق بوجه الله فهو ظاهر وواضح، وأما سؤال الله عز وجل بوجهه الكريم فلا شك في جوازه؛ لقوله تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف:180]، وهذا الحديث فيه ضعف كما سبق أن بينا.

النهي عن قول: لو فعلت كذا لكان كذا

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في اللو، وقول الله تعالى: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا [آل عمران:154] وقوله: الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا [آل عمران:168]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان). يشترط في النهي عن (لو) القصد القلبي، فإذا قال الإنسان: لو حصل كذا لكان كذا وكذا وكان قصده الندم والتسخط على الماضي فلا شك في أن هذه تفتح عمل الشيطان، وهذه هي المرادة بالنهي. فالمراد بالنهي هنا: أن يكون قصد القائل عندما يقول: (لو) هو الندم والتسخط والحزن ونحو ذلك من المعاني الفاسدة، أما إذا كان له قصد آخر -مثل أن يتمنى الخير- فلا شيء عليه. وقد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم، ففي حجة الوداع عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يحلوا بعد العمرة قال لهم: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة) فهذا تمنى للخير، وليس فيه حزن وتسخط على الماضي، وورد في الحديث المشهور في الرجل الذي يتمنى أنه يقول: لو أن عندي مالاً لفعلت فيه كذا وكذا، يعني: إذا تمنى الإنسان أن يكون له مال ينفقه في الطاعة فله أجر عظيم. وليعلم أن (لو) ورد النهي عن استعمالها، وورد استعمالها في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فلا بد من الجمع بينهما؛ لأنه لا يمكن أن يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم وهي منهية عنها، وهذا يدل على أهمية القصد في مثل هذه الكلمات، فكلمة (لو) قد يطلقها الإنسان وهو حزين، وكأنه يتمنى استرجاع الماضي، واسترجاع الماضي ليس بيده، أو كأنه متسخط على الماضي، أما إذا كان متمنياً للخير فلا إشكال في ذلك؛ لأن الإنسان إذا قال: (لو)، وهو متسخط وحزين على الماضي فإن في قوله سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لم يرض بقدر الله عز وجل الذي قدره له، ولهذا قال: (فإن (لو) تفتح عمل الشيطان)، ولهذا مثل بقوله: (ولا يقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا)؛ لأنه لا يمكن أن يحصل ذلك له، ففيها سوء أدب مع الله عز وجل واعتراض على قدره، أما إذا قالها متمنياً للخير فليس فيها ذلك المحذور الشرعي، وبناءً على هذا تكون جائزة، بل فيها طلب للخير وتمنٍ له وتربية للنفس عليه.

النهي عن سب الريح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب النهي عن سب الريح. عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به) صححه الترمذي]. هذا الحديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده في عمل اليوم والليلة، وهذا الباب يدخل في الباب الذي سبق أن تحدثنا عنه، وهو النهي عن سب الدهر، فإن الدهر هو الأيام والليالي التي تحصل للإنسان، والحوادث التي تحصل في هذه الأيام والليالي، فالنهي عن سب الريح داخل في عموم النهي عن سب الدهر عموماً. والنهي عن سب الريح تعليه اعتقاد أن الريح مذبذبة، وليست هي التي تدبر نفسها بنفسها، وإنما هي سبب من الأسباب خلقه الله سبحانه وتعالى، فليس لها ذنب، وليست مريدة لما تقوم به من عمل، بل هي مسيرة مخلوقة لله عز وجل، ولهذا فإن

من سب الريح كأنه سب الذي خلقها.

ذكر ما جاء في النهي عن كثرة الحلف

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في كثرة الحلف، وقول الله تعالى: وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ [المائدة:89] وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب) أخرجاه، وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيما زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني بسند صحيح، وفي الصحيح عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم -قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً- ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)، وفيه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)، قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار]. المراد بهذا الباب هو النهي عن كثرة الحلف لسببين: السبب الأول: أن كثرة الحلف مظنة للكذب، والكذب في اليمين يجعلها غموساً إذا كانت يميناً عن الماضي، وكونه لا يفي بها في المستقبل يدل على عدم تعظيمه لله سبحانه وتعالى. والسبب الثاني: أن كثرة الحلف فيها عدم تعظيم لله عز وجل. وقوله تعالى: وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ [المائدة:89] حفظ الإيمان جاء على قولين عند المفسرين، وكلا القولين صحيح: القول الأول: أن قوله: وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ [المائدة:89] يعني: احفظوا أيمانكم من كثرة الحلف، فلا تكثرُوا الحلف إلا فيما هو نافع ومهم. القول الثاني: أن المعنى: إذا حلفتُم ولم تستطيعوا الوفاء فأتوا بالكفارة؛ لأن الإنسان إذا حلف ولم يستطع الوفاء لا يجوز له أن يترك يمينه دون كفارة. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الحلف منفقة للسلعة) يعني: الحلف وسيلة لترويج السلعة، لكنه ممحقة للكسب، والمحق معناه: الإزالة، والكسب معناه: بركة الكسب؛ لأن السلعة إذا راجت في الدنيا فإنه يكثر الكسب من حيث العدد، ولكن تحقق من حيث البركة، ولهذا أخبر الله عز وجل أنه: يَفْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ [البقرة:276] ومحق الربا معناه: إزالة البركة منه، فتجد أن صاحب المال الربوي لديه مال كثير، ولكن لا ينفع صاحبه بشيء، وهذا فيه تنبيه للباعة الذين يبيعون ويحلفون على بيعهم، وهي مسألة تكثر عند كثير ممن يشتغل بالتجارة ويشتغل بالبيع والشراء، فيدفع سلعته للشراء بيمينه، وهذا لا شك في أنه منهى عنه. وفي الحديث الثالث: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيما زان) والأشيما: هو الشيخ الذي ظهر فيه الشيب كثيراً، فإن قيل: لماذا الأشيما الزاني أشد من الشاب الزاني؟ فالجواب أن الإنسان إذا كان كبيراً تكون رغبته في الحرام وفي الزنا أقل وشهوته أضعف، فكونه يقترب الزنا من غير دافع قوي للشهوة يدل على أنه مستخف بهذا العمل، ولهذا فإن الزنا كله من الكبائر، ولكن زنا الرجل الكبير في السن أشد من زنا الشاب؛ لأن الشاب قد يكون دافعه هو الشهوة لديه، بينما ذلك ضعيف عند الشيخ الكبير، وكلاهما يستويان في كون الزنا من الكبائر، ولكنه بالنسبة للأشيما الزاني أكبر، ولهذا يقول أبو الفتح البوستي: هب الشبيبة أبدت عذر صاحبها عذر أشيب يستهويه شيطانيقول: هب الشبيبة -أي: كون الإنسان صغيراً في سنه- أبدت عذر صاحبها، بأن عنده نزوات قد لا يستطيع التحكم بها إذا كان ضعيفاً، والأصل أن المسلم يستطيع التحكم في نفسه، يقول: فما عذر أشيب -يعني: رجل كبير جرب الحياة وعرفها وأصبحت النزوات عنده أضعف من غيره- يستهويه شيطان، أي: لا عذر له. قال صلى الله عليه وسلم: (وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) والعياذ بالله، وهذا هو الذي يتخذ اليمين وسيلة لإنفاق السلعة أو وسيلة للشراء، حيث يقلل المبلغ، مثل أن يأتي إلى شخص فيقول: هذا المسجل وجدته في الدكان الفلاني، فيحلف على أنه وجده بكذا من السعر، فهو يكذب في هذا، وجعله أمراً مستديماً بالنسبة له، فلا شك في أن هذا يدل على عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى. وبقيّة الحديث هي في القرون المفضلة الثلاثة، ثم ذكر أوصاف القرون التي تلي هذه القرون المفضلة الثلاثة، وهي عصورنا هذه التي نعيش فيها اليوم، ذكر من أوصافهم أنهم قوم (يشهدون ولا يستشهدون)، يعني: لا تطلب منهم الشهادة ومع هذا يشهدون، (ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن). وقوله: (يظهر فيهم السمن)، ليس المقصود به أن السمن في ذاته مذموم، ولكن دلالة السمن سببها عدم الحركة وعدم الجهاد وعدم إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله؛ لأن المجاهدين الذين يتحركون ويقاتلون ويبذلون لا يمكن أن

يحصل فيهم السمن، والسمن نقصد به السمن الاختياري؛ لأنه أحياناً قد يبتلى إنسان بسمنٍ ليس اختياريّاً، كوكيع بن الجراح رحمه الله، فقد كان من علماء العراق، وهو شيخ الشافعي، وكان رجلاً سميناً جداً، مع أنهم كانوا يسمونه راهب الكوفة من كثرة الصيام، وقد سئل ذات يوم: لماذا أنت سمين بهذه الطريقة؟ فقال: من فرحي بالإسلام. يعني: السبب الذي جعلني سميناً بهذه الطريقة فرحي بالإسلام. والمقصود بالسمن المنهي عنه هنا: هو السمن الاختياري، وهذا هو الذي انتشر في زماننا هذا، والسبب أنه ليست هناك معسكرات لإعداد الشباب والناس للجهاد في سبيل الله، وليس هناك جهاد في سبيل الله، وليس هناك إرادة لإقامة هذه الشعيرة في هذا الزمن. فيبدو أن هذا هو سبب النهي، وليس المقصود بالنهي كون الإنسان يكون سميناً في ذاته، وهذا من جهة. ومن جهة أخرى يذم للسمن لأنه دلالة على الترف وانتشار المال والركون إلى الدنيا بشكل كبير.

ذكر ما جاء في تعظيم ذمة الله وذمه نبيه صلى الله عليه وسلم
قال المؤلف رحمه الله تعالى: [باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا [النحل: 91]. وعن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، ويجري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله فيهم أم لا؟) رواه مسلم .

دعوة الكفار قبل قتالهم إلى ثلاث خصال

يقول: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال) يعني: قبل القتال ادعهم إلى الله سبحانه وتعالى، (فأيتهم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام) يعني: أول الأمور أن تدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، فإذا أسلموا فالحمد لله؛ إذ هذا الذي نريده، فالقتال ليس هدفاً في ذاته، فإذا أسلموا فهم إخوتنا في الإسلام. يقول: (ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين) هذا إذا أسلموا، (وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين) يعني: إذا أسلموا ورفضوا التحول من دار الكفر إلى دار الإسلام فهم كأعراب المسلمين، يعني: هم من أهل الإسلام ولكنهم كالأعراب وليسوا كالمهاجرين، فيجري عليهم حكم الله تعالى، (ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين). قال: (فإن هم أبوا فاسألهم الجزية) يعني: يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون. أي: إما أن تزال حكومتهم ويكونوا تحت حكومة الإسلام، أو يكون هناك عقد أمان بينهم وبين المسلمين ويكون الحكم لهم، ولكن يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون. وهذه حقائق الإسلام لا تتغير، وقد يقول بعض الناس: كيف تطبق مثل هذه الأحكام في هذا الزمن؟! ونقول: إذا كان كثير من الناس لا يطبقونها الآن فإنها ستطبق بإذن الله، وصحيح أن هذا الكلام يشبه الخيال في بعض الأحيان في واقعنا اليوم، ولكن الحقائق الشرعية ثابتة لا يمكن أن تتغير أبداً، وسنطالبهم بها، وإذا كانت الأمة مستضعفة الآن فإنه يجب علينا أن نرفع عنها الاستضعاف بالدعوة إلى الله عز وجل والإصلاح، وتنمية روح الجهاد في سبيل الله في نفوس المسلمين، وجذبهم إلى الدين وتفهمهم أحكام رب العالمين سبحانه وتعالى. يقول: (فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) وهذا يدل على أن القتال ليس مقصوداً لذاته، وإنما مقصود لرفع الظلم عن المسلمين، ورفع الكفر عن الناس. يقول: (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك) ثم علل ذلك،

وكذلك الأمر في الحكم، وهذا هو موضع الشاهد، وهذا يدل على قاعدة مهمة جداً، وهي أن هناك فرقاً بين حكم الله وحكم العلماء، فقد يقضي القاضي بحكم من الأحكام، فهل هذا الحكم الذي يقضي به هو حكم الله؟ إن حكم الشخص قد يكون صحيحاً وقد يكون خطأ، ولهذا لا يصح للإنسان أن يقول: هذا هو عين حكم الله؛ لأنه قد يكون مخطئاً، وإنما يقول: هذا حكم القاضي، ويكون الناس ملزمين به إذا اجتهد القاضي في هذا الحكم اجتهداً شرعياً وبالطريقة الشرعية، وأما إذا لم يكن بالطريقة الشرعية فإنه ينقض؛ لأنه ليس اجتهداً مشروعاً، والاجتهاد المشروع ليس هو حكم الله دائماً، بل قد يكون خطأ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)، وهذا يدل على أن المجتهد قد يخطئ في بعض الأحيان، وإذا أخطأ في الحكم دلّ ذلك على أنه لم يكن حكم الله في نفسه، ولكن لا يكون عليه إثم؛ لأنه بذل وسعه وبذل جهده، والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها.

حكم تفسير آية التوبة بانهياء برجي التجارة في أمريكا

ما زالت الخرافات وتفسير القرآن بالطريقة غير المشروعة منتشرة، فقد جاءني أحد الإخوة بورقة مكتوبة فيها ما نصه: معجزة القرآن الكريم في انهيار برج التجارة العالمي في نيويورك بتاريخ 11/9/2001م، والمكان شارع جرف هار، والذي تحدث عنه رب العزة العلي القدير في القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة. فهذا إما أن يكون إنساناً مغفلاً يتكلم في دين الله عز وجل وهو جاهل، وإما أن يكون إنساناً خبيثاً يريد أن يضل الناس، والحقيقة أن المغفلين كثروا في الناس، والذين يتكلمون وهم جهال كثيرون مع الأسف، والواجب على الإنسان ألا يتكلم فيما لا يعرف ولا يحسن. يقول: وقبل أن يأتي العالم بمبنى في شارع جرف هار، عندما قال تعالى في سورة التوبة في الآية التاسعة بعد المائة: أَقَمْنَا نَبِيَّائَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [التوبة: 109] يقول: هذا في آية برقم مائة وتسعة، وتأتي سورة التوبة في الجزء الحادي عشر، وهو تاريخ يوم الانهيار، ورقم السورة تسعة، وهو شهر الانهيار، وعدد الحروف من بداية السورة إلى الآية التاسعة والمائة، ألفان وواحد، وهو تاريخ عام الانهيار، ورقم الآية مائة وتسعة، وهو عدد أدوار البرج، مع أنني سمعت أن عدد الأدوار مائة وعشرة وليس مائة وتسعة. يقول: ورب العزة يتكلم قبل الحدث بألف وأربعمائة عام بالكلمات والأحرف القرآنية، سبحان الله، فنقول للملحدين: آمنوا، ولمن ليس لديهم دين: آمنوا بأن الله أخبرنا بكل الأحداث في القرآن قبل أن تقع بألف وأربعمائة على لسان نبي أمين اسمه محمد صلى الله عليه وسلم، نرجو تصوير هذه المعجزة وإهداءها لكثير من الأحاب، وإن شاء الله تجزى عنها خيراً. ووالله لن تجزى عنها إلا إثمًا لا خيراً. فانظر كيف يتلاعبون بالتفسير، وهل هذه الطريقة من طرق التفسير؟! وهل فسر النبي صلى الله عليه وسلم حدثاً من الأحداث في زمانه بهذه الطريقة؟! وهل فسر أحد من الصحابة القرآن بهذه الطريقة؟! وهل فسر أحد من العلماء المشهورين القرآن بهذه الطريقة؟! إن هذا التفسير لا يفسر به إلا الحمقى والمغفلون؛ لأنه إن قيل: إن الجزء الحادي عشر هو اليوم، فإنه يقال: لماذا لا يكون الشهر إذًا؟! وعلى أي أساس اختيار اليوم دون الشهر؟! فهذه الآية تفسرها الشرعي هو أن الله عز وجل يبين الفرق بين من أسس إيمانه تأسيساً صحيحاً على تقوى من الله عز وجل، وبين من كان عنده نفاق في قلبه، فشبهه بأنه مثل الذي يضع بنياناً على طرف حفرة ثم يسقط هذا البنيان داخل الحفرة، فما علاقة البرجين بهذا؟! ثم إن المذكور هو جرف واحد، والبناء الذي سقط عمارتان لا واحدة. إذًا: لا بد من دليل آخر على المبنى الآخر، فهذه الآية -حسب مذهبهم- دليل على العمارة الأولى، ولا ندري هل هي الشمالية أم الجنوبية؟ فليتخير واحدة منها، والثانية يحتاج لها إلى دليل ثانٍ، فليبحث في القرآن وليحسب في الحروف حتى يتعب. إنَّ هذه الطريقة في التعامل مع القرآن طريقة فاسدة تشبه طريقة الباطنية، وهناك أناس ظهروا يسمون أصحاب الإعجاز العددي في القرآن، يعظمون الأحرف، حيث يقرأ الواحد منهم في مواضع من القرآن ويرى أنها مهمة، ويحسب حروفها ويبنى عليها أشياء كثيرة جداً في الواقع وفي الأنفس وفي الآفاق وفي التاريخ، وهذه الطريقة عبث وهدم للقرآن الكريم، ويجب أن نحذر منها بقدر ما نستطيع، وأسأل الله عز وجل أن ينتقم ممن لعب بالقرآن وفسره بهذه الطريقة. فهناك أشخاص كثيرون يريدون لهذه الأمة وللصحوة الإسلامية أن يتشتت طريقها، وأن تختلف توجهات أصحابها، فتراهم يجمعون أسماء لله سبحانه وتعالى، ويجمعون أحرفاً معينة فيخلطون بينها ويقولون: هذا علاج، حتى إنه مرت فترة من الفترات على العلمانيين رأوا فيها توجه الناس إلى التدين، فبدءوا يتكلمون عن القبور والأضرحة، حتى يوجهوا العاطفة الدينية المتوجهة إلى الله وجهة فاسدة، وحينئذ لا يكون لها تأثير، وأشد ما يخافون منه هو التوجه إلى المنهج السلفي الصحيح.

دعوة الكفار قبل قتالهم إلى ثلاث خصال

يقول: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال) يعني: قبل القتال ادعهم إلى الله سبحانه وتعالى، (فأيتهم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام) يعني: أول الأمور أن تدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، فإذا أسلموا فالحمد لله؛ إذ هذا الذي نريده، فالقتال ليس هدفاً في ذاته، فإذا أسلموا فهم إخواننا في الإسلام. يقول: (ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين) هذا إذا أسلموا، (وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين) يعني: إذا أسلموا ورفضوا التحول من دار الكفر إلى دار الإسلام فهم كأعراب المسلمين، يعني: هم من أهل الإسلام ولكنهم كأعراب وليسوا كالمهاجرين، فيجري عليهم حكم الله تعالى، (ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين). قال: (فإن هم أبوا فاسألهم الجزية) يعني: يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون. أي: إما أن تزال حكومتهم ويكنونوا تحت حكومة الإسلام، أو يكون هناك عقد أمان بينهم وبين المسلمين ويكون الحكم لهم، ولكن يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون. وهذه حقائق الإسلام لا تتغير، وقد يقول بعض الناس: كيف تطبق مثل هذه الأحكام في هذا الزمن؟! ونقول: إذا كان كثير من الناس لا يطبقونها الآن فإنها ستطبق بإذن الله، وصحيح أن هذا الكلام يشبه الخيال في بعض الأحيان في واقعنا اليوم، ولكن الحقائق الشرعية ثابتة لا يمكن أن تتغير أبداً، وسنطالبهم بها، وإذا كانت الأمة مستضعفة الآن فإنه يجب علينا أن نرفع عنها الاستضعاف بالدعوة إلى الله عز وجل والإصلاح، وتنمية روح الجهاد في سبيل الله في نفوس المسلمين، وجذبهم إلى الدين وتفهمهم أحكام رب العالمين سبحانه وتعالى. يقول: (فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم) وهذا يدل على أن القتال ليس مقصوداً لذاته، وإنما مقصود لرفع الظلم عن المسلمين، ورفع الكفر عن الناس. يقول: (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك) ثم علل ذلك، وكذلك الأمر في الحكم، وهذا هو موضع الشاهد، وهذا يدل على قاعدة مهمة جداً، وهي أن هناك فرقاً بين حكم الله وحكم العلماء، فقد يقضي القاضي بحكم من الأحكام، فهل هذا الحكم الذي يقضي به هو حكم الله؟ إن حكم الشخص قد يكون صحيحاً وقد يكون خطأ، ولهذا لا يصح للإنسان أن يقول: هذا هو عين حكم الله؛ لأنه قد يكون مخطئاً، وإنما يقول: هذا حكم القاضي، ويكون الناس ملزمين به إذا اجتهد القاضي في هذا الحكم اجتهاداً شرعياً وبالطريقة الشرعية، وأما إذا لم يكن بالطريقة الشرعية فإنه ينقض؛ لأنه ليس اجتهاداً مشروعاً، والاجتهاد المشروع ليس هو حكم الله دائماً، بل قد يكون خطأ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)، وهذا يدل على أن المجتهد قد يخطئ في بعض الأحيان، وإذا أخطأ في الحكم دل ذلك على أنه لم يكن حكم الله في نفسه، ولكن لا يكون عليه إثم؛ لأنه بذل وسعه وبذل جهده، والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها.

الأسئلة

حكم الطعن في المجاهدين

السؤال: ما حكم الذين يسبون المجاهدين وينتقدونهم ولا يشدون من أزهرهم؟ الجواب: لا شك في أن هذا خطأ كبير، والواجب هو مساعدة المجاهدين وإعانتهم والدعاء لهم بأن يثبتهم الله عز وجل فإذا لم يكن للإنسان مشاركة مع إخوانه في الجهاد في سبيل الله فليدع لهم، وليسأل الله عز وجل أن ينصرهم على الكفار، وليدع الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم، ويجتهد في أن يدافع عن أعراضهم في أي مكان من الأمكنة، فالمجاهدون لهم فضل عظيم جداً، ومن يقتل منهم وهو مخلص لله عز وجل له أجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى، ويكفي هؤلاء أنهم جادوا بأنفسهم في سبيل الله، وقاتلوا أعداء الله سبحانه وتعالى، فالطعن فيهم وذمهم ونقدهم والتشنيع عليهم خطأ. ولا ينبغي أن يكون ذلك من العامي فضلاً عن الداعية إلى الله عز وجل، فإذا لم تكن معهم فادع لهم، وإذا لم تساعدكم بمالك فادع لهم، أو دافع عن أعراضهم أو اسكت عنهم، فما الذي يدعوك إلى أن تتكلم؟ وما الذي يدعوك إلى أن تجعل المجاهدين خصمك يوم القيامة؟ فبالله خبرني عن شخص خصمه يوم القيامة المجاهدون في سبيل الله، ففي أي كفة سيكون؟! فلا شك في أن الإنسان ينبغي له أن يبتعد عن الطعن في المجاهدين، وبعض الناس يكون في قلبه مرض، فيشكك في نياتهم، أو يشكك في أغراضهم ومقاصدهم، أو يشكك في جهدهم وهم من أصدق الناس ومن أكثر الناس تقوى لله عز وجل، فإذا كان الإنسان يصبر على القتال في سبيل الله حتى

يقتل فهذا من أعظم الجهود ومن أعظم الحب لله سبحانه وتعالى، ولا نزكي على الله أحداً، فينبغي للإنسان أن يبتعد عن نقدهم وأن يجتهد في عونهم، وأن يجتهد في الدعاء لهم في الصلاة، وفي خاصة نفسه ومع أهله، وأن يُدكّر أهله وأولاده بالدعاء لهم، بل ينبغي أن يحيي الجهاد في المسلمين، ويحيي هذه الفريضة الغائبة التي أصبح الكلام عنها كأنه كلام تاريخي في كثير من بقاع المسلمين، ونحن نلاحظ ما يفعله اليهود الآن، وما يفعله الأمريكان بالمسلمين في أفغانستان وفي فلسطين، وكيف يدمرون بلادهم على مرأى ومسمع من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم من أكثر الناس عدداً، فعددهم أكثر من مليار، فلو نفر من كل مائة رجل واحد لكونوا جيشاً قوياً لن يستطيع أن يقف أمامه الإسرائيليون ولا الأمريكيون أبداً، ولكن مشكلتنا هي أننا عصينا الله عز وجل أولاً، فترتب على ذلك هذا الهوان وهذا الضعف وهذا الذل. فالواجب في مثل هذه الظروف هو أن نحیی روح الجهاد في كل الناس، وأن نحییه في نفوس الشباب، وأن نحییه في نفوس الأطفال، وأن نحییه في نفوسنا نحن، وأن نحییه في كل مكان، ولو كان هناك شخصٌ غير متدين في الظاهر فإنه ينبغي أن نحیی هذه الروح في نفسه؛ لأن هؤلاء الكفار لا يقاتلون المتدينين ويتركون الشباب الآخرين، بل يريدون اجتثاث أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الجذر ومن الأساس، فيقتلون كل أحد، يقتلون النساء ويقتلون الصبيان ويقتلون الذي لا ذنب له ويقتلون الشيخ الكبير ويقتلون الأعمى ويذلونهم. وقد رأينا ما حصل لأفغانستان، فقد دمرت وأصبحت -مع الأسف- قاعاً صفصفاً، وكل ذلك بسببنا نحن، والأمريكيون يشهدون فيقولون: لو لم يكن هناك تحالف بيننا وبين بعض الأفغان -يعنون التحالف الشمالي- لما استطعنا أن نقضي عليهم وأن ندمرهم بهذه الطريقة. إذًا: نحن الذين ندمر أنفسنا بأنفسنا، وهكذا الأمر في فلسطين، وهكذا الأمر في كثير من بلدان المسلمين، فالواجب في هذه الظروف أن نحیی روح الجهاد في كل الأمة، وصحيح أنه لن يكون هناك شيء عملي للجهاد، مع أن الكثير يطالبون بفتح باب الجهاد للدفاع عن إخواننا الفلسطينيين والمسلمين الذين يذبحون هناك، فقد لا يكون شيء واقعي الآن، ولكن -على أقل تقدير- نحیی هذه الروح في النفوس، ونشرك في ذلك، كل الشباب سواء أكانوا ملتحمين أم غير ملتحمين، وسواء أكانوا يقعون في شيء من المعاصي أم لا، حتى الذين يسمعون الدسكو، والذين يتأخرون عن الصلاة، والذين يقعون في الفسق والمعاصي، يجب أن نحیی روح الجهاد في نفوسهم، وأن يحدث الواحد نفسه يوماً من الأيام أنه سيحمل سلاحه ويقاتل أعداء الله، فهذا أمر واجب وأساسي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من لم يغز -يعني: من لم يقاتل في سبيل الله - ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) فالذي لم يتكلم مع نفسه في يوم من الأيام، ولم يفكر ولم يتمم أن يحمل سلاحه ويقاتل في صفوف المسلمين في إيمانه دخن، وفيه شعبة من شعب النفاق والعياذ بالله، فينبغي أن نحیی روح الجهاد.

[اضغط هنا لعرض النسخة الكاملة، كتاب التوحيد \[9\] للشيخ : عبد الرحيم السلمي](#)

<http://audio.islamweb.net>